الشيخ زايد وسالم بن حم

رفقة لها تاريخ

salem bin ham.indd 1 3/7/19 2:36 PM

الطبعة الأولى : 1440 هـ - 2019 م

الرقم الدولي: ISBN 978-9948-38-295-9

مطبعة الغرير – دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة

صورة الغلاف تاريخها عام ١٩٧٦
في منطقة ملاقط - مدينة العين

التصنيف العمري : E

تم تصنيف و تحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام .

تمت الموافقه عليه من قبل المجلس الوطني للإعلام في دولة الإمارات العربية المتحدة

بإذن طباعة رقم :MC-02-01-9064598 بتاريخ: 31/10/2018

salem bin ham.indd 2 3/7/19 2:36 PM

الشيخ زايد وسالم بن حمم

رفقة لها تاريخ

زكي أنور نسيبة

salem bin ham.indd 3 3/7/19 2:36 PM

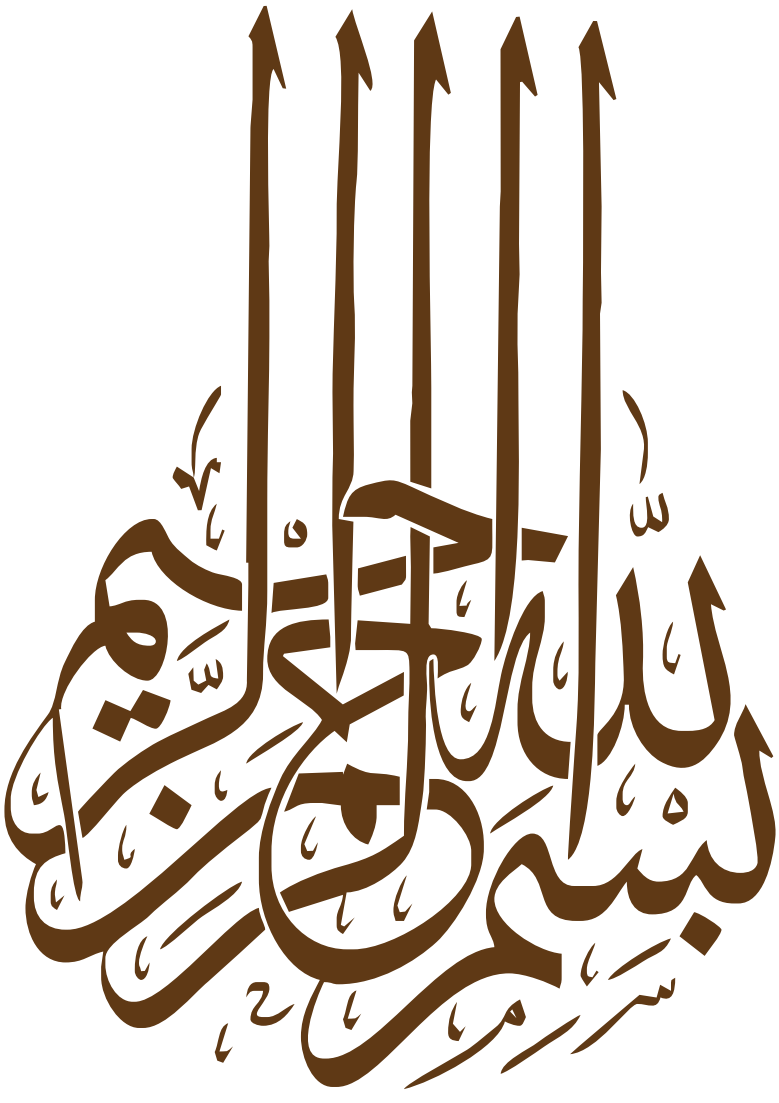

salem bin ham.indd 4 3/7/19 2:36 PM

تقديم

الفريق سمو الشيخ سيف بن زايد آل نهيان

نائب رئيس مجلس الوزراء - وزير الداخلية

salem bin ham.indd 5 3/7/19 2:36 PM

salem bin ham.indd 6 3/7/19 2:36 PM

تقديم:

في بدايات الاتحاد عندما كان الشيخ سالم بن حم مرافقاً للمغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان في إحدى رحلاته الخارجية، إلتقاه أحد الصحافيين البريطانيين المشككين بقوة ومتانة الاتحاد، وقام ذلك الصحفي بتوجيه أسئلة مُباغتة ومُبطّنة أحياناً للشيخ سالم، فأجابه بن حم بعفوية ودهاء البدوي: "أنا درست في مدرسة وجامعة القائد والحكيم زايد الخير، وأفتخر أني بعدني تلميذاً فيها، ولهذا يا صديقي الصحفي فإن ولائي لزايد وإخلاصي لما يؤمن به القايد، فتخيّر أسئلتك قبل لا تسألها، فولائنا للوطن وقوته وإخلاصنا للقائد وعزيمته، ولأنه يجوز يصعب عليك استيعاب هذه المعاني".

من الطبيعي أن لا تُبنى الحضارات ولا تتحقق الإنجازات إلا بسواعد رجال فيهم من الصفات الإيجابية والعزائم القوية، خاصةً عندما يلتقي قائد حكيم ذو رؤية ثاقبة، مع مستشارون مؤتمنون، فتتسارع الخُطى وتمضي مسيرة النهوض بالوطن والمجتمع.

ومن الرجال الذين تواجدوا مع القائد المؤسس

الوالد الشيخ زايد بن سلطان طيب اللّه ثراه، الشيخ سالم بن حم العامري رحمه اللّه، فلم نره إلا صديقاً ومستشاراً له تقوم علاقتهما على حب الوطن وشعبه، ولقد رافق بن حم "الوالد المؤسس" منذ مرحلة شبابه، وشهد وعايش معه التطورات والأحداث التي عاشتها الدولة والمنطقة خلال مرحلة التحولات الكبرى التي سبقت قيام دولة الاتحاد وأعقبتها.

كان الشيخ سالم بن حم رحمه اللّه، مع غيره من ذوي الرأي والمشورة المخلصين يتبادلون الآراء مع القائد المؤسس، حول أوضاع وهموم المجتمع والتحديات التي تواجهه والفرص المتاحة لتطويره، لقد عاشوا قسوة الماضي وعظمة الحاضر، فرحوا سوياً وعانوا سوياً، وكانوا عوناً لـ "طيب اللّه ثراه – زايد الخير" في تحقيق إنجازات واضحة للعيان على الرغم من عدم وجود ممكنات متاحة في ذلك الوقت.

لقد تعلم بن حم من طيب اللّه ثراه "القائد المؤسس" دروس الحكمة والبصيرة وقراءة المتغيرات، ما يسمى اليوم "بإستشراف المستقبل" وكان الشيخ سالم بن حم رحمه اللّه، مثالاً حياً للمواطن الإيجابي والصديق المخلص الذي يقدم مصلحة الوطن وفكر القائد على مصلحته الشخصية.

رحم الله الشيخ سالم بن حم ورفاقه من المخلصين لله وللوطن ولقيادة الإمارات حفظها الله.

تجدون في صفحات هذا الكتاب لمحة تاريخية لحقبة من تاريخ دولتنا الفتية، وحكايات من الماضي وقصصاً ومواقف ودلالات تحمل في طيّاتها الكثير من الحِكَم والقيم والعِبَر التي سيستفيد منها القارىء في حياته، ويجعلها نبراساً يسير عليه، عن المسيرة التي بدأها القائد المؤسس "حكيم العرب" برؤيته المستقبلية، ويعزز ديمومتها سيدي رئيس الدولة، صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان "حفظه الله" وبمتابعة من سيدي صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي "رعاه الله" وسيدي صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة.

دمتم ودامت الإمارات عزيزة شامخة بقيادتها الإستثنائية وشعبها الأصيل.

سيف بن زايد آل نهيان

نائب رئيس مجلس الوزراء – وزير الداخلية

salem bin ham.indd 10 3/7/19 2:36 PM

كلمة المؤلف:

الوالد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، كان غيثاً على الأرض اليابسة القاحلة لتعشب وتخرج طيباتها، والمكافأة على صبر أبناء المنطقة في الأيام العصيبة .. أمنيات تحققت وغيرت الواقع لتصبح هذه البقعة المصفرة بطبيعة حالها الصحراوية إلى جنة من جنات الأرض، يتمنى زيارتها سكان أقاصي شرق الأرض وغربها. الشيخ زايد مدرسة نهل منها شعب الإمارات خصال الحكمة والعطاء، إنه رجل الصحراء المعروف بالأخلاق السامية التي تدل على الرقي الإنساني. إن سعادته كانت بإسعاد الآخرين.

لقد كان للشيخ زايد طيب الله ثراه ولع بالتاريخ، فكان ملماً بأنساب القبائل وامتداداتها وتاريخ المنطقة، حياته لقاءات متجددة مع مختلف البشر سواء من أهل المدن أو البادية أو العرب أو الأجانب، بالإضافة إلى شغفه بالاستماع إلى الآخرين والإنصات لهم ، وإذا اجتمعت كل هذه الصفات في شخص واحد، تجد لديه

ذخراً تراكمياً ضخماً من المعرفة بالطبيعة الإنسانية وما حفل به التاريخ من أحداث ومسارات، لتصبح حياته كلها رحلة علم يتعلم ويُعلم من حوله بما كسبه من تراكم معرفي. كان رحمه الله يؤثر في من يتحدث إليهم، وذلك من غزير علمه، وأسلوب خطابه الأخاذ.

ومن شهود العصر الذين تميزت أدوارهم فيه وتعددت صورها، سالم بن حم الذي عُرف بصحبته الحميمة ومودته للشيخ زايد طيب الله ثراه، وتعددت مساهماته وخدماته التي تميزت بالإخلاص وتقديم الآراء السديدة. خبرته صنعتها هذه الرفقة الطويلة قبيل وبعد قيام الاتحاد، ومجالسته المستمرة ومرافقته للشيخ زايد في العديد من رحلاته خارج الوطن. مدرسة زايد صاغت شخصيته ورسمت مسار سنوات عمره، بل هي كما يقول بن حم «كل شي في حياته».

والكتاب بعنوانه ومضامين فصوله يتناول جوانب عديدة من هذه الرفقة بكل امتدادها التاريخي وأحداثها وتحولاتها.

salem bin ham.indd 12 3/7/19 2:36 PM

salem bin ham.indd 13 3/7/19 2:36 PM

salem bin ham.indd 14 3/7/19 2:36 PM

الفصل الاول

لمحات عن سالم بن حم

لمحات..
عن سالم بن حم

الشيخ سالم بن حم شخصية تتجلى فيها المعاني السامية المفعمة بالوفاء والإخلاص في كل ظروف المكان والزمان من تاريخ الإمارات المعاصر. انه أحد رجاله الأصلاء بكل ما حفلت به سيرته الوطنية الحافلة بالمواقف المشهودة، والأعمال الجليلة، والكلمة الحقة، والبصيرة التي تعبر عن خزين تجاربه، وقدرته في مواجهة المعضلات ومعالجتها بالحصافة والرأي السديد، وهي حصاد رفقته مع الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان « طيب الله ثراه» ، رفقة أصيلة ركائزها سنوات الصبا والشباب وما تلاها من سنوات العمر بكل زمانها الصعب ومعاناته .. وزمن التحولات الكبرى الخالدة .. امتداد زمني هو في كل تفاصيله حكمة زايد وحنكته التي استمد منها بن حم مقومات شخصيته ومسيرة حياته.

وفي هذا السياق يقول سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان ممثل الحاكم في منطقة العين لإمارة أبوظبي: إن بن حم أحد أبناء الوطن المخلصين الذين تعتز بهم دولة الإمارات،

salem bin ham.indd 16 3/10/19 2:03 PM

ومكانته رفيعة لدى عموم أبناء القبائل، وفطنته وذكاؤه جعله من أصحاب الدراية ببواطن الأمور، وكان يحظى باحترام وتقدير كبير من المؤسس والباني المغفور له الشيخ زايد الذي كان يناقشه في بعض القضايا ويطلب منه أن يدلو بدلوه فيها، وكان بن حم دوماً عند حسن الظن به. ويحسب للشيخ سالم بن حم أنه كان أحد الأعضاء البارزين في أول مجلس استشاري وطني لإمارة أبوظبي. وتقديراً وعرفاناً بعطائه الكبير والطويل في مجال العمل الوطني وخدمة المجتمع، تم ترشيح الشيخ سالم لجائزة أبوظبي للأعمال الإنسانية عام 2006 والتي نالها عن جدارة واستحقاق وحظي بحفاوة وتكريم خاص من صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة.

أحمد خليفة السويدي الذي شغل العديد من المناصب قبيل وبعد قيام دولة الإمارات.. وشارك في مسيرتها الظافرة.. حيث كان عضواً في مجلس التخطيط الذي أنشأه الشيخ زايد في العشرين من مارس 1968.. وتولَّى رئاسة الديوان الأميري، وشغل منصب وزير الخارجية.. ثم ممثل صاحب السمو رئيس الدولة.. يقول في كلمته لمناسبة جائزة أبوظبي الإنسانية لعام 2006: «اسمحوا لي يا صاحب السمو أن

salem bin ham.indd 17 3/7/19 2:36 PM

أتحدَّث بهذه المناسبة عن أحد المكرمين في هذا الحفل وهو الشيخ سالم بن حم الذي عرفته معرفة تامة عن قرب بحكم علاقته ومودته من سمو الشيخ زايد. الشيخ سالم بن حم غني عن التعريف لأنه من أُسرة كريمة ومن قبيلة عريقة ومعروفة ومشهورة من قبائل دولة الإمارات العربية المتحدة.. رافق سمو الشيخ زايد رحمه اللّه منذ الصبا، وشهد معه جميع التطورات والتحولات الكبيرة.. كما شهد الأخ سالم وشارك في قيام الدولة والإنجازات التي تحققت على أرضها.. قدم خدمات كبيرة وجليلة لوطنه ولمواطنيه خلال الفترة التي رافق فيها سمو والدكم.. وهو من الرجال المخلصين القلائل الذين تعتز بهم دولة الإمارات ومن الذين قدّموا وما زالوا يقدّمون خدمات كبيرة لوطنهم ولمواطنيهم.. الشيخ سالم واسع المعرفة والاطلاع وذو خبرة كبيرة والرأي السديد والبطانة الصالحة، ولا شك أن صحبته الطويلة مع الشيخ زايد ومرافقته له في حله وترحاله في داخل الدولة وخارجها ومجالسته المستمرة له قد أكسبته خبرة واسعة في الأمور والقضايا العامة إلى جانب ذكائه الفطري. وكان كثيراً ما يحاوره سمو الشيخ زايد طيب اللّه ثراه في مجالسه العامة ويستأنس بآرائه السديدة في كثير من القضايا التي تهمُّ الوطن والمواطنين...».

salem bin ham.indd 18 3/7/19 2:36 PM

وجاء في التعليق التلفزيوني لقناة أبوظبي عن الشيخ سالم بن حم، أثناء تسلُّمه جائزة أبوظبي الإنسانية التي أشرنا إليها: «إنه من الرجال الذين لم تَرْضَ عن العزيمة والإصرار بديلاً، وسواعد لم تثنها النوائب ولا الشدائد، وأقداماً تعلمت الثبات والرسوخ من جذور النخيل المتأصلة في هذه الأرض الطيبة.. سالم بن حم العامري، صاحب النشأة البدوية الأصيلة، الذي رافق منذ شبابه المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيَّب الله ثراه، وعاصر معه جميع مراحل التغيير، فهو الأخ والصديق الذي لم يغب أبداً عن مجالس الشيخ زايد كما أنه من بين الرواة لكل ما يتعلق بتفاصيل سيرة المغفور له. نقطة انطلاق بن حم.. شخصية عامة، كان من أوائل الذين عملوا على تحقيق الأمن والأمان في وقت كانت فيه التحديات التي تواجهها أبوظبي قبيل قيام الاتحاد عديدة.. وبقيام دولة الإمارات العربية المتحدة لم يتوقف عطاء الرجل، فبتوجيه من الراحل الكبير، أنجز سالم بن حم العديد من المهام التي تدخل في صلب العمل الوطني، أهمها فضُّه النزاعات وتقريبه وجهات النظر بين بعض القبائل في هذه المرحلة الحساسة من تاريخ الدولة الوليدة.. وفي مرحلة لاحقة... دخل بن حم معترك الحياة النيابية عضواً في المجلس

salem bin ham.indd 19 3/7/19 2:36 PM

الوطني الاستشاري لإمارة أبوظبي لسنوات عدة، جعل خلالها هموم المواطنين ومشكلاتهم شغله الشاغل.. ويبقى سالم بن حم واحداً من أبناء أبوظبي المخلصين الذين قدّموا الكثير من المبادرات والأفكار، وأدركوا أن الرحلة طويلة وأن الوصول إلى نهايتها، لن يأتي من دون جد وعمل دؤوب تشمر لها سواعد الرجال».

وفي 28 نوفمبر 2017، كرم صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة، «46» من الأوائل في العمل الخيري والإنساني، وكان من بينهم الراحل الشيخ سالم بن حم العامري، وابنه الشيخ مسلم بن حم يكمل الأبن مسيرة الأب الراحل الذي رافق منذ صباه المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وله مسيرة حافلة بالعطاء في عمل الخير ومساعدة الأسر والأفراد.

سالم بن حم صحراوي النشأة بمواصفاتها قيماً ورجولة. ولد عام 1925 في منطقة الصفا جنوبي الوجن الواقعة في منطقة العين لإمارة أبوظبي.. وهو بن مسلم بن حم العامري الذي كانت لمواقفه دورها الكبير في استتباب

salem bin ham.indd 20 3/7/19 2:36 PM

الأمن والاستقرار في العين وأبوظبي خلال العقود الأولى من القرن الماضي.. كما كانت علاقاته متميزة وقوية بشيوخ آل نهيان حتى وفاته عام 1927. وعُرف عن عمه محمد بن حم شاعريته المشهودة.. ومن الذين كانت لهم رفقة بالمغفور له الشيخ زايد.. وقصائده تشكل ديواناً يؤرخ حقبة من تاريخ الإمارات حيث توفي عام 1940.

نشأ سالم بن حم يتيماً حيث توفي والده وهو لم يزل طفلاً.. غير أن والدته أحسنت تربيته ونشأته.. غرست فيه الصبر والجلد والقدرة على تحمل الصعاب وقسوة الحياة.. بيئة قاسية لا ترحم وبلاد قفراء إلا من إيمان أهلها. ويقول بن حم عن طفولته وظروف نشأته: «طفولتي لم تكن تختلف عن طفولة أقراني الذين نشؤوا وترعرعوا في ظل تلك الظروف البيئية والمعيشية الصعبة التي كانت تسود المنطقة آنذاك.. لم تكن هناك طفولة بالمعنى الصحيح فظروف الحياة بمعطياتها في ذلك الحين أضفت علينا منذ نعومة أظفارنا نوعاً من الخشونة والقدرة على التكيف والمثابرة والتحلي بقدر من الإرادة والعزيمة القوية وروح المبادرة والتحدي، وجميعها في الواقع من المآثر التي أخذناها كجيل من آبائنا وأجدادنا الذين كانت حياتهم بطبيعة الحال أكثر صعوبة وقسوة. أما بالنسبة

salem bin ham.indd 21 3/7/19 2:36 PM

لترتيبي بين أفراد الأسرة فقد كنت الثاني، وتكبرني شقيقتي موزة -رحمها الله- وقد توفيت عام 2006.. كنت شغوفاً إلى درجةٍ كبيرةٍ بقصص الشجاعة والبطولة التي كنت أسمعها وأنا طفل عن أولئك الرجال الذين كانوا يدفعون حياتهم ثمناً للذود عن ديارهم وأهلهم».

للصحراء خصوصية بكل مفرداتها.. والنشأة في أجوائها تشكل مرتكزات أساسية في شخصية أبنائها.. وتحديد خياراتهم في شتى مناحي الحياة. يقول بن حم: الحياة التي عشناها في مرحلتي الطفولة والشباب كان لها أثر بالغ في تكوين شخصيتي، ولا شك أن الوالد والوالدة كان لهما الأثر الأكبر في ذلك، خاصة فيما يتعلق بتربيتنا وتعويدنا كيفية التأقلم مع كل الظروف القاسية والصعبة والتحلي بقدرٍ كبير من الصبر والجلد وتحمل المسؤولية.. ولم تكن هناك على أيامنا هوايات وأنشطة بالمعنى ذاته، فالأعمال والاهتمامات كانت تنحصر في سبل العيش، حيث تتركز جهود الجميع رجالاً ونساءً وأطفالاً على توفير قوت يومهم.. وبالعودة إلى واقع الظروف المعيشية والحياتية في تلك الحقبة من تاريخ الإمارات، نرى أن خيارات العمل والنشاط الإنساني كانت مقننة ومحدودة جداً، وكما هو معروف فإن التجمعات السكانية القريبة من شاطئ البحر

salem bin ham.indd 22 3/7/19 2:36 PM

كانت أعمال الأهالي فيها وهم من البدو، ترتكز على تقطيع الأشجار وجمع الأخشاب وحرقها، لتتحول إلى فحم «سخام». ونقلها ثم بيعها لسكان الحضر، أما البدو الذين يسكنون في الصحراء بعيداً عن شاطئ البحر فكانت أنشطتهم تتركز على تربية الإبل والأغنام التي كانوا يأكلون لحومها ويشربون حليبها ويبيعون بعضها ليشتروا بثمنها بعض مستلزماتهم الأخرى.. وفيما يتعلق بسكان الحضر الذين يسكنون على شاطئ البحر فلم تكن لهم أعمال سوى الغوص بحثاً عن اللؤلؤ أو صيد السمك.. وكان والدي يمارس الأعمال نفسها التي كان يمارسها سكان الصحراء.. وباستثناء الأعمال التقليدية التي مارسناها مع آبائنا خلال تلك المرحلة الزمنية خاصة الاهتمام بالإبل لم يتح لي أن أمارس أي أعمال أخرى في مرحلة الصبا والشباب.

في سنوات الشباب تزوج سالم بن حم وهو زواج لم يخرج كما يذكر عن نمط العادات والتقاليد التي كانت سائدة في تلك البيئة البدوية التي عاشها، فالزواج تقليدي جداً وله طقوس في غاية البساطة، وأغلب الحالات كانت تتم بين أبناء وبنات القبيلة الواحدة. وزواجه لم يكن بعيداً عن هذه التقاليد.. وإن أولاده على التوالي: مسلم، محمد، حمد، مبارك، سهيل، عبد الله، سعيد.

salem bin ham.indd 23 3/7/19 2:36 PM

يقول بن حم: لا شك أن الظروف الحياتية الصعبة التي كابدناها في السابق تركت بصمات واضحة على سلوكياتنا حتى الآن، ورغم التحولات الجذرية التي طرأت على كافة مناحي الحياة إلا أننا والحمد لله، ورثنا أبناءنا العديد من هذه التقاليد والسلوكيات الحميدة، والتي تشكل في مجملها جانباً مما تعلمته وورثته عن رفيق عمري زايد طيب الله ثراه ، خاصة فيما يتعلق بالعزيمة والتأقلم والتكيف مع كل الظروف والأحوال بالصبر والاحتمال والتحلي بطيب الخصال كالأمانة والكرم والشجاعة وحب الوطن.

وحين يتحدث عن أصدقاء زمانه.. يقول: «إذا كان قدري أن أكون من أصحاب الحظ العظيم الذي ربطني برفقة فقيد الوطن والأمة الشيخ زايد طيب الله ثراه منذ أيام الشباب، وتلك رفقة طويلة تخللها الكثير من الأحداث والمنعطفات التاريخية والذكريات والآمال العريضة والطموحات التي حققها هذا القائد الملهم بما تحلى به من رؤيةٍ ثاقبةٍ، وعزيمة وإرادة صلبة وحكمة بالغة، فكيف لي وقد خصني الله عزوجل بهذه الرفقة العظيمة التي سأظل أعتز وأفخر بها، أن أذكر سواه من أصدقاء زمان، وهم كثر وأكن لهم كل التقدير والاحترام».

سالم بن حم: زايد صداقة عمر.. تجربة حياة.. عصر

salem bin ham.indd 24 3/7/19 2:36 PM

بزمنين وشتان بين الزمنين. يقول ويلفرد ثيسجر، وقد قام بين عامي 1945 و1950، برحلات في الربع الخالي وما حوله، الصحراء التي تبلغ مساحتها نصف مليون ميل مربع، وتشكل واحدة من أقسى صحارى العالم، إنه عاد إلى المنطقة وزار الإمارات عام 1977، فوجد أن التغييرات التي حدثت في فترة عقد من الزمن، ضخمة كتلك التي حدثت في بريطانيا بين أوائل العصور الوسطى والوقت الحالي، ويقول، حين زارها في عام 1990، إنها تثير الإعجاب.

بن حم.. شاهد على عصر يمتد منذ ثلاثينيات القرن الماضي وحتى الوقت الحاضر.. وللمعاصرة أهمية خاصة.. تفاصيلها تسهم في استكمال صورة.. أو توثيق شهاداتٍ لمعاصرين وكتاباتٍ لباحثين عن هذا الجانب أو ذاك، والإمارات ما تزال بحاجةٍ إلى المزيد من الاستقراء لتاريخها في مراحله المختلفة.. وليس هناك أكثر من العين مصداقية وبخاصة حين تكون لأشخاص كانوا في خضم الأحداث.. أو عاشوا زمانهم بمفردات واقعه ووقائعه.

وسالم بن حم من قبيلة عريقة كبيرة هي قبيلة العوامر التي يحفل التاريخ بعصوره المختلفة بأدوارها ومواقفها المشهودة .. صور مشرقة عن أحد أهم وأشهر القبائل العربية. إنها

salem bin ham.indd 25 3/7/19 2:36 PM

من القبائل الرئيسية في إمارة أبوظبي، ومكانتها معروفة لدى شيوخ آل نهيان. وتذكر المصادر التاريخية أن العوامر من جند آل بوفلاح المتميزين بالصدق والولاء والإخلاص.

والعوامر قبيلة.. امتداداتها كثيرة.. تتميز ببنيتها البدوية، ولذلك فهي قبيلة متماسكة قرابياً بفروعها المختلفة. هذا ما يذكره شاكر خصباك في كتابه القيم: «دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة في الجغرافية الاجتماعية». ويذكر الرحالة ويلفرد ثيسجر كيف أنَّ هذه القبيلة تكيفت مع حياة الرمال، وعاشت بعض فروعها في الرمال الوسطى، وهي المكان الوحيد في الربع الخالي الذي تتواجد فيه الآبار، وأنه كان عليه أن يمر في أراضيها خلال رحلته.. ويقدّم تفاصيل لها قيمتها التاريخية بهذا الصدد. وكان ثيسجر قد وصف في كتابه الشهير المعنون: «الرمال العربية»، رحلاته الاستكشافية بين عامي 1945 و1950 حول، وعبر الربع الخالي، تلك الصحراء التي تبلغ مساحتها نصف مليون ميل مربع، والتي تشكل واحدة من أقسى صحاري العالم. ولم يسبق لرحالة قبله - ما عدا البدو الذين يعيشون هناك - أن تجرأ على عبور تلك الرمال الخاوية مرتين. وكان يرى أنها المكان الذي «يوفر راحة البال النادرة التي تأتي مع الوحدة، ووفاء البدو وسط

salem bin ham.indd 26 3/7/19 2:36 PM

ظـروف بالغـة القسـوة».

ويتـوزع العوامـر في عـدد مـن دول المنطقـة، وقـد اسـتقر العوامـر الذيـن سـكنوا عُمـان حـول نـزوى وفي مناطـق مـن مسـقط والباطنة. ويذكـر سـمويل باريت مايلز الذي شـغل منصب المعتمد السياسـي والقنصـل البريطانـي في عُمـان عـام 1872، وتعـرف عـن كثـب علـى أحـوال المنطقـة الداخليـة وجمـع معلومـات دقيقـة عـن أهلهـا.. يذكـر في كتابـه المعنـون: «الخليـج بلدانـه وقبائلـه».. الـذي صـدر عـام 1919: «أن البـدو مـن هـذه القبيلـة يتجولـون في الصحـراء حتـى ظفـار.. ويشـغل الجـزء المسـتوطن مـن القبيلـة اثنتـي عشـرة قريـة بالقـرب مـن نـزوى.. ولهـا ثلاثـون فخـذاً».

وتنقسـم قبيلـة العوامـر إلـى فخذيـن كبيريـن همـا: فخـذ بـدر.. وفخـذ لـز.. وأهـم بطـون فخـذ بـدر: آل حيـو، آل كليلـة، آل سـلم، آل قيعـال، الحـلاطـة، بيـت العوينـي، الحبانـين، المقاضـة. أمـا فخـذ لـز فأهـم بطونـه: آل خميـس، آل عمـر، آل عصيـد، آل مبـارح، اليعافـرة، آل حيثـول، وآل شـريف الذيـن يرجعـون إلـى آل كثيـر، ولكنهـم يلتحقـون بالعوامـر. وتسـكن قبيلـة العوامـر المناطـق الجنوبيـة لأبوظبـي وخاصـة الختـم والحمـرة والكـدن وأم الزمـول وزراره والربـع الخالـي. كمـا تسـكن أكثـر جماعـات العوامـر في إمـارة أبوظبـي.

salem bin ham.indd 27 3/7/19 2:36 PM

ويقول الرحالة ثيسجر وهو يصف وصوله للمويجعي في الخامس من نوفمبر 1948 ومكوثه فيها حتى 28 يناير 1949.. إن المغفور له الشيخ زايد أشار في حديث معه إلى أن للعوامر مخيماً عند طرق الرمال.. وحين زارها مرةً أخرى في إبريل 1949، يذكر ثيسجر أن للعوامر كلمة مسموعة وهو يشير إلى ذلك من خلال واقعة حدثت آنذاك.

وجاء في تقرير لقيادة قوة ساحل عُمان.. أنه في 24 يناير 1955، تصدى سالم بن حم أحد رجال زايد لقافلة تهريب للأسلحة والذخائر.. واضطر رجالها إلى الهرب. وتوجه بن حم إلى الشيخ زايد وأبلغه بما حدث.. وفي اليوم التالي 25 يناير توجه الشيخ زايد إلى مسرح الواقعة واطَّلع على الأسلحة المهرَّبة وكمياتها، ومكث وبعض رجاله ليلة مع بن حم وأسنده بقوة من رجاله. وكانت المنطقة تشهد من حينٍ لآخر عمليات من هذا النوع بحكم امتداداتها وطبيعة تداخل حدودها.

إن رمال الصحراء تحكي تاريخاً صنعه رجالها.. وإن كتابات الرحالة الأجانب إضافة إلى تقارير المسؤولين البريطانيين في المنطقة تسهم في استقراء هذا الجانب أو ذاك مما حفلت به الأزمنة على تعاقبها.

salem bin ham.indd 28 3/7/19 2:36 PM

لقد كان المغفور له الشيخ زايد «يحب البدو.. وهم يحبونه.. يعرف تقاليدهم ويعشقها. وهذا الحب لحياة البدو وللصحراء.. جاء من خلال حكمه لمدينة العين والمنطقة الشرقية ما يقرب من عشرين عاماً.. هناك عاش مع البدو كواحدٍ أصيل منهم.. يكاد يعرف كل الأفراد في كل قبيلة.. يحب حياتهم.. وأشعارهم.. وأمسياتهم.. وكان يستعين بالقبائل في بناء المشروعات التي أقامها في العين.. وأهم تلك المشروعات التي أقامها بمساعدة قبيلة العوامر الفلج الذي أقامه في العين.. في هذه الواحة تعيش قبيلة العوامر التي يحبها الشيخ زايد طيب الله ثراه .. ويهوى أشعارها.. وعاش معها سنوات..» هذا ما ذكره راشد عبد الله في كتابه القيم المعنون: زايد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد.

وتجدر الإشارة إلى أن فلج العين يُسمى بفلج الصاروج لكون قناته بُنيت بمادة الصاروج وهي مادة كلسية محروقة أقوى من الجص وأقل صلابة من النورة. وينبع من منطقة مراغ شرقي العين، وهو من الأفلاج الكبيرة ويسير تحت الأرض ضمن قنوات كبيرة عليها عدد من الفتحات لتسهيل عملية تنظيفِ ومراقبةِ المياه، ثم تتفرع ضمن عوامد إسمنتية بعرض قدمين وارتفاع قدم لتقوم بسقاية النخيل والمزارع

salem bin ham.indd 29 3/7/19 2:36 PM

بمنطقة العين. هذا ما يذكره حمدي تمام في موسوعته القيمة: موسوعة زايد.. ولقد قام المغفور له الشيخ زايد بتطويره منذ نهاية الأربعينيات من القرن الماضي حين كان ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية، ويقال: إن أعمال التطوير هذه دامت ثمانية عشر عاماً. وبأمر من المغفور له الشيخ زايد، أصبحت مياه هذا الفلج وكذلك مياه الأفلاج الأخرى مشاعة لعامة الناس.

إن مناخ وجغرافية الإمارات قد جعلا مصدر المياه الرئيسي هو جوف الأرض.. وابتكر الإنسان الذي عاش على أرضها أكثر من طريقة لاستغلال هذه المياه أهمها طريقتان رئيستان: هما البئر والفلج. وتُطلق على البئر محلياً كلمة طوي.. وهي كلمة فصيحة تعني البئر وخاصة البئر المبنية أو المطوية بالحجارة كما ويُطلق على القناة التي تُشق في جوف الأرض لجلب المياه الكائنة على أعماق متفاوتة ومن أماكن بعيدة مصطلح فلج .. والفلج كلمة محلية وهي عربية كذلك من أصلٍ سامي ويقصد بها في بعض الأحيان الجدول الصغير أو النبع والكلمة تستعمل في الإمارات وسلطنة عُمان وعموم منطقة الخليج العربي. هذا ما أشار إليه وليد ياسين في دراسته العلمية القيمة عن الأفلاج بدولة الإمارات، وهي دراسة آثارية في أنظمة الريِّ القديمة.

salem bin ham.indd 30 3/7/19 2:37 PM

وجاء في دراسة علمية بعنوان: (العوامر: قبيلة متخصصة بحفر الآبار والأفلاج...)، أعدها جى.إس. بيركس وسالي. آى. ليتس، وجرى ترجمتها إلى العربية ونُشرت عام 1982: «إن حفر الآبار والأفلاج حرفة شاقة يكاد يحتكرها العوامر الذين يمتازون بمهارة خاصة.. الكثير من العوامر مشهورون بأنهم باصرون أي لديهم دراية بمعرفة مواقع الماء تحت الأرض، ومعدل نجاح العوامر في التبصر بالآبار عال.. إنَّ أبعد الباصرين صيتاً وأعظمهم مكانة هم عادة من تلك القبيلة. وتقوم شهرة العوامر الكبرى على حفر الأفلاج وتمديدها.. وإلى جانب مقدرتهم على العمل اليدوي، يتمتع العوامر بكفاءة في معرفة أمارات الينابيع تحت الأرض.. وفي توسيع واكتشاف مجاري الماء المعروفة تحت الأرض ليزيدوا جريان الماء إلى الفلج إلى الحد الأقصى.. إنَّ للعوامر كنوز من الخبرات بهذا الشأن».

وجاء في تقارير لمسؤولين بريطانيين منهم الكابتن تايلر وكيل المقيم البريطاني في العراق خلال القرن التاسع عشر، ومارتن بكماستر الذي كان مسؤولاً سياسياً في أبوظبي وقام برحلة أوائل عام 1952 في بادية أبوظبي بصحبة المغفور له الشيخ زايد.. «أن العوامر من جند البوفلاح المتميزين بصدق

salem bin ham.indd 31 3/7/19 2:37 PM

الـولاء والإخـلاص..» وأشـاروا إلـى وقائـع بهذا الخصـوص.. «وأن سـالم بن حـم أحـد أصدقـاء زايـد الشـخصيين والقريبـين منـه وهـو مستشـار موثوق بـه لـدى زايـد». وجديـر بالذكـر أن مجلـة ليـوا قـد نشـرت في عددهـا الثالـث عشـر/يناير 2005 دراسـة قيمـة لعبـد العزيـز عبد الغنـي بعنـوان: الخريطـة القبليـة لإمـارة أبوظبـي تناولـت قصـة وثيقـة أعدهـا بكماسـتر بعـد رحلتـه في بادية أبوظبـي مـن منطقـة البريمـي إلـى الختـم ثـم ليـوا حتـى بينونـة وعبـر البحـر إلـى الجـزر المأهولـة علـى سـاحل أبوظبـي. وأشـار كلـود موريـس إلـى هـذه الرحلـة في كتابـه القيـم: صقـر الصحـراء.. المغفـور لـه الشـيخ زايـد.

الصحـراء بحـد ذاتهـا تكفـي أن تضفـي علـى نشـأة أبنائهـا ومراحـل تكوينهـم المتتابعـة مـا تسـتحقه مـن المعانـي بـكل أبعادهـا. وتأخـذ هـذه المعانـي صـوراً أكثـر إجـلالاً حـين ينتـزع الرجـال أدوارهـم بـكل مـا تقتضيـه الصحـراء مـن مسـتلزمات الجلـد والإرادة والعزيمـة ومـا تمليـه قيمهـا وتقاليدهـا وقوانينهـا.

سـالم بن حـم يقـول: تَعلمتُ مـن مدرسـة المغفـور له الشـيخ زايـد وهـي مدرسـة حيـاة بشـتى صورهـا ودلالاتهـا وميادينهـا العمليـة ومـا تتميـز بـه مـن خبـرة صنعتهـا الحيـاة ذاتهـا. ونقتبـس مـن كلـود موريـس قـول الفيلسـوف الفرنسـي شـارل فوريـه:

salem bin ham.indd 32 3/7/19 2:37 PM

«إن مستقبل العالم يتطور من عقل الإنسان فالناس الذين يفكرون تفكيراً إيجابياً ويعملون للخير يحققون الظروف التي يرغبونها». ويقول موريس: عندما كان زايد حاكماً محلياً أثبت أنه ديبلوماسي بارع، إذ نادراً ما أخطأت قدمه مهما تكن المناسبة ومهما يكن التحدي. وسجل ثيسجر عام 1948 انطباعه عن الشيخ زايد بقوله: «ينم وجهه عن ذكاء شديد.. عيناه ثاقبتان. مزاجه هادئ رصين، قادر، ذو عزيمة. شهرته واسعة بين البدو الذين أحبوه لمعاملته السهلة غير الرسمية، ومودته، واحترموا فيه قوة شخصيته وفطنته وقوته الجسدية..». وعندما جاء عالم الآثار جفري بيبي لأول مرة إلى العين في العام 1959، اجتمع إلى الشيخ زايد ثم وصفه في كتابه المعنون: «البحث عن دلمون» قائلاً: «طويل رقيق عريض المنكبين، سيماؤه بدوية حقيقية كأنه الصقر في توثبه.. لقد كان اسمه سحرياً، فهو قناص قوي، وصحراوي شهير».

تلك لمحات لها دلالاتها في كتابة التاريخ.. ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. وحين نستقرئ الجذور تتداخل الأحداث والصور.. ونشأة سالم بن حم كانت إحدى ملامحها.

salem bin ham.indd 33 3/7/19 2:37 PM

salem bin ham.indd 34 3/7/19 2:37 PM

الصور : وثائق

salem bin ham.indd 35 3/10/19 2:07 PM

salem bin ham.indd 36 3/7/19 2:37 PM

الشيخ زايد رحمه الله وعلى يمينه معالي أحمد خليفة السويدي
وبجانبه الشيخ سالم بن حم رحمه الله وامامهم مجسم لقصر الحصن

salem bin ham.indd 37 3/7/19 2:37 PM

salem bin ham.indd 38 3/7/19 2:37 PM

الشيخ زايد رحمه الله وعلى يساره سمو الشيخ سلطان بن زايد
وبجانبه الشيخ سالم بن حم رحمه الله

salem bin ham.indd 39 3/7/19 2:37 PM

salem bin ham.indd 40 3/7/19 2:37 PM

الشيخ زايد وسالم بن حم رحمهما الله

salem bin ham.indd 41 3/7/19 2:37 PM

salem bin ham.indd 42 3/7/19 2:37 PM

الشيخ زايد رحمه الله وعلى يساره الشيخ سالم بن حم رحمه الله
وعلى يمينه عبدالله بن أحمد العتيبة ويظهر في الصورة مبارك بن
فاضل المزروعي وعبدالجليل الفهيم رحمهما الله

salem bin ham.indd 43 3/7/19 2:37 PM

salem bin ham.indd 44 3/7/19 2:37 PM

الشيخ زايد رحمه الله والشيخ سلطان بن خليفة بن زايد وعلى يساره
الشيخ سالم بن حم رحمه الله

salem bin ham.indd 45 3/7/19 2:37 PM

salem bin ham.indd 46 3/7/19 2:37 PM

الشيخ زايد رحمه الله وعلى يمينه الشيخ سالم بن حم رحمه الله
وحمد بن سهيل الخيلي

salem bin ham.indd 47 3/7/19 2:37 PM

salem bin ham.indd 48 3/7/19 2:37 PM

الشيخ زايد وسالم بن حم رحمهما الله في زيارة لاحدى المزارع

salem bin ham.indd 49 3/7/19 2:37 PM

salem bin ham.indd 50 3/7/19 2:37 PM

الفصل الثاني

الشيخ زايد وذكريات بن حم

salem bin ham.indd 51 3/10/19 2:08 PM

الشيخ زايد..
وذكريات بن حم

لقد رافق سالم بن حم الشيخ زايد منذ صباه.. شهد معه قسوة ماضٍ وعظمة حاضر.. وفي الفترتين بكل امتدادهما الزمني.. اكتسب سالم بن حم مرتكزات أساسية في بنائه الشخصي وتجربة حياته.. مرتكزات صنعتها رفقته للشيخ زايد.. زايد عمل.. صبر.. أنجز. وبن حم شهد معه الكثير من الأحداث والوقائع والتطورات والمتغيرات.. وفي كل مساراتها كل يتأمل آفاق تفكيره.. إرادته وعزمه.. حنكته وفطنته.. حكمته.. مواجهته للمعضلات.. قراءته للواقع.. وتطلعاته للمستقبل.. في أحد الأيام سأل أحد الصحفيين البريطانيين سالم بن حم حينما كان مرافقاً للمغفور له الشيخ زايد في إحدى رحلاته الخارجية: في أي مدرسة درست؟ أجابه على الفور وبذكاء البدوي الفطري: «درستُ في مدرسة زايد، وما زلت طالباً للعلم والمعرفة فيها إلى يومنا هذا». وبمشاعر صادقة ونابعة من حب ووفاء أصيل يصف بن حم الشيخ زايد قائلاً: «تعجز

salem bin ham.indd 52 3/10/19 2:09 PM

كلماتي عن وصفه فقد كان ـ طيّب الله ثراه ـ محبّاً للخير، ودوداً وعطوفاً، صاحب ذكاء فطري، بارّاً بأهله ووطنه، لديه عزيمة قوية وإرادة صلبة، إضافة إلى الحكمة وبُعد النظر في كل الأمور، وهذا ما مكّنه من تحقيق حلم الاتحاد، وبناء دولة عصرية قامت على إنجازات حضارية أقرب إلى المعجزات، والمتأمل في فكر الشيخ زايد يتبين مدى تركيزه الثابت على فكرة «بناء الإنسان» التي جعلها من أولوياته، وكانت دائماً نصب عينيه في فترة حكمه، وفي كل خطوة خطاها أو أمل تطلع إليه».

أمضى المغفور له الشيخ زايد بعض سنوات طفولته بقصر الحصن في أبوظبي.. ثم انتقل إلى العين التي كانت موقعاً استراتيجياً لتجمعات البدو.. وفي العين: تاريخ يحكي سنوات الصبر والتجلُّد والمقاومة لظروف صعبة.. وحياة قاسية.. سنوات شباب كانت مفعمة بالأمل.. لا تعرف الجزع أو اليأس.. تستلهم من الأجداد: تقاليد وقيماً ومثلاً عليا.

وقبل أن يباشر الشيخ زايد مهامه في العين.. كانت الحالة الاجتماعية والاقتصادية متدهورة، يقول بن حم: كنا لا نعرف طعم الهناء، والهناء عرفناه فقط مع زايد.. عندما تسلم المسؤولية في مدينة العين، ذهبت غشاوة كبيرة كانت

salem bin ham.indd 53 3/7/19 2:37 PM

تغطي أعيننا، وأصبح بابه في قلعة المويجعي مفتوحاً للجميع، يفضون إليه بكل ما يختلج في صدورهم من معاناة وآمال وطموحات عديدة، يعبّرون عن رأيهم دون خوف أو تردد لأنهم شعروا بأمان كبير معه، وأنه واحد منهم وحريص عليهم، يتألم لألمهم ويفرح لأفراحهم، ويتفانى في مد يد العون للجميع دون كللٍ أو ملل، حتى إن كثيراً من الأجانب وصفوا الشيخ زايد برب أسرة كبيرة يجلس دائماً للاستماع إلى مشاكل الناس ويقوم بحلها ويخرج من عنده المتخاصمون بهدوء وكلهم رضا بأحكامه التي تتميز بالذكاء والحكمة والعدل.. وتعد هذه الفترة هي المرحلة الأهم في حياة زايد التي اختبره فيها شعبه وتقرّب إليه حتى نجح فيها بكل اقتدار.. وهذا ما أهَّله لأن يلحوا عليه كي يتولى مهام مستقبلية أكثر جسامة ومسؤولية.. وهي المرحلة الأولى التي تبلورت فيها شخصية زايد كزعيم لا يعترف بالمستحيل.. وقائد فذ يتقن بمهارة عالية كيف يقود شعبه إلى برِّ الأمان.

إن المغفور له الشيخ زايد منذ أن تولى مسؤوليته ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية لإمارة أبوظبي عام 1946.. لم يكن هناك ما يحجبه عن شعبه ويفصله عنهم.. وكانت بابه بقلعة المويجعي مفتوحة للجميع بلا حواجز.. إنه يستمع للكل

salem bin ham.indd 54 3/7/19 2:37 PM

صغيراً وكبيراً وفي أي وقت من دون تكلف أو تكليف.. هذا ما يذكره بن حم وهو يستذكر سنوات تلك الحقبة التاريخية.. وكان الشيخ زايد يستأنس بمداخلات سالم بن حم الذي كان يجلس بجواره عادة.. وكان يستشيره في بعض الأمور.. رأيه يقدره الشيخ زايد ويعتد به كثيراً.. يقول بن حم: قبل أن يتولى زايد شؤون مدينة العين كان القوي يستغل الضعيف.. ولما عُيِّن ممثلًا للحاكم أقام مركزاً بالعين للصلح بين المتخاصمين من الناس والفصل بينهم بالعدل وإزالة الخلافات بين القبائل.. ولم تمضِ سوى سنتين حتى أصلح بين الجميع ولم يعد أحد يضر بأحد.

كانت العين والمناطق التابعة لها عبارة عن صحراء قاحلة وأرض جرداء إلا أنها شهدت ثورة خضراء ونهضة حضارية هائلة بفضل الاهتمام والرعاية الكبيرة التي أولاها فقيد الوطن والأُمة المغفور له الشيخ زايد لمشاريع تطوير العين منذ أن عُيِّن حاكماً عليها عام 1946. ويذكر سالم بن حم: أن الشيخ زايد كان يتوقف عند الأشجار المهملة واليابسة ذات اللون الأصفر ويعتني بها ويخدمها ويعلِّمنا طرق ريها وتسميدها وكيف نعتني بها ويأمر بتوصيل الماء لها قبل أن يغادر المكان. ويتوقف عند شجرة أخرى آيلة للسقوط فيقومها

salem bin ham.indd 55 3/7/19 2:37 PM

ويربطها ويوصينا خيراً بمثل هذه الأشجار.. فتحوَّلت الرمال الصفراء إلى لوحات خضراء.

لقد قضى الشيخ زايد 20 عاماً في مدينة العين.. أحبَّ القبائل وأحبته.. زايد كان يتطلَّع إلى توطين البدو.. ويعلم أن الزراعة هي أساس التوطين.. لذلك اتجه إلى إصلاح الأراضي في مدينة العين.. وساهم في رفع مستوى الذين عشقوا الصحراء التي لم تعد حياتهم فيها بتلك القسوة القديمة.. هذا هو زايد: رجل البادية.. صديق القبائل.

وفي ذلك الوقت المبكر كان الشيخ زايد يؤمن إيماناً قاطعاً بالتخطيط.. وبدأ يعمل في ثلاثة اتجاهات: إصلاح الأراضي الزراعية.. إصلاح القنوات والأفلاج.. بناء أفلاج جديدة. وبدأ الشيخ زايد في تطهير الأفلاج القديمة والقنوات التي توصل الماء إلى الأراضي الزراعية.. وبدأ الماء ينساب.. وبدأ اللون الأخضر يكسو المنطقة الشرقية.. ويدفع أمامه في حرب كبيرة اللون الأصفر، وأصبح الناس في كل هذه المنطقة يحصلون على أنواع المزروعات ويصدَّر الباقي إلى مدينة أبوظبي وبعض الإمارات المجاورة.

لقد شهدت المنطقة الشرقية نوعاً من أنواع الحضارة..

salem bin ham.indd 56 3/7/19 2:37 PM

وانتقال المجتمع إلى مجتمع زراعي عامل، مستقراً في أرضه، ضامناً أنه سيجد الغذاء غداً.. وعاش الناس في المنطقة الشرقية بقيادة زايد في حالة من الاستقرار لم يشهدوها في تاريخهم الطويل. هذا ما يذكره راشد عبد الله في كتابه القيّم: زايد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد.. ويقول: إنه من خلال لقاءاتي مع الشيخ زايد.. أستطيع أن أقول: إن الرجل يستطيع أن يفكر في أكثر من اتجاه لبعث النهضة.. وإنه يرى بإلهام كبير: المستقبل.. وكان يرى أن العلم هو أساس الحضارة والرقي.. وأنه لا بدّ أن يعلن الحرب على الجهل الذي ساد المنطقة.. كان يريد أن يرى أطفال البلاد وهم يحملون حقائبهم في طريقهم إلى المدارس حتى يصبحوا بعد سنوات رجالاً مثقفين.. يضعون ثقافتهم في خدمة المجتمع. ولكن الثقافة تحتاج إلى مدارس ومعلمين.. والمدارس والمعلمون في حاجة إلى المال حتى يتمكنوا من القضاء على الجهل.

وأمسك الشيخ زايد ورقة وقلماً.. وكتب رسالة طويلة إلى أحد المسؤولين في وزارة التربية والتعليم بإحدى الدول العربية، يطلب عدداً قليلاً من المدرّسين لكي يأتوا إلى المنطقة الشرقية ليعلموا الأبناء.. الشيخ زايد يذكر هذه الحادثة جيداً.. وقد وقَّعها: زايد بن سلطان آل نهيان حاكم

salem bin ham.indd 57 3/7/19 2:37 PM

المنطقة الشرقية ـ مدينة العين ـ أبوظبي.

وصلت الرسالة إلى المسؤول في الدولة العربية الشقيقة.. وظل الشيخ زايد في انتظار الرد على الرسالة.. وبعد أسابيع طويلة من الانتظار جاء الرد.. وكان في الرد هذه الجمل: أرجو أن تحدد موقع إمارة أبوظبي، وأن تحدد أيضاً المنطقة الشرقية.. أقول هذا مؤكداً أن أبوظبي كانت إمارة منسية حتى على الكثير من المسؤولين العرب.. وهي الآن غير الصورة التي كانت عليها.

وفي عام 1959، أقام زايد بقليل من الأموال المدرسة النهيانية الابتدائية في العين.. كان زايد يزور الطلاب في المدرسة والبيت.. يرعاهم ويشجعهم.. فهم الأمل.. الأمل في بناء المستقبل، وكان لهذه المدرسة الصغيرة الفضل في وجود العدد الموجود من المثقفين في إمارة أبوظبي.

واهتم الشيخ زايد بتنشيط الحركة التجارية في العين.. حيث بادر إلى إنشاء سوق تجارية لإنعاش حركة البيع والشراء.. وتوفير السلع للمواطنين.. يقول بن حم: إن ما أنجزه زايد عندما كان ممثلاً للحاكم في العين، لم يكن لأحد غيره أن يحققه بتلك الإمكانات الضعيفة وفي تلك الظروف

salem bin ham.indd 58 3/7/19 2:37 PM

الصعبة التي كانت تضطره أحياناً إلى الاستدانة لينفق على المعوزين بعد نفاد أمواله الخاصة.. كل ذلك من أجل أن يرفه عن الناس وينهض بمدينة العين.. كان يفعل كل ذلك بدافع المحبة الصادقة لأبناء شعبه ومن أجل أن يراهم يعيشون في رغد ونعيم بدلاً من القسوة والظروف غير المحتملة التي كانوا يعيشونها.. وقد حرص على القيام بإصلاحات وإنجازات كثيرة، مما جعل العديد ممن عايشوه يرون فيه رجل الإصلاح الأوحد الذي سيحقق طموحاتهم وأحلامهم داخل وخارج مدينتهم العين.. وقد حدث ما توقَّعوه.

وحين زار كلارنس مان أبوظبي وأعدَّ دراسة واسعة عنها عام 1964، تنبأ بأن الشيخ زايد سيكون الحاكم المنتظر لإمارة أبوظبي كلها، ومما قاله بهذا الخصوص:

«إن الشيخ زايد هو الرجل القوي في منطقة العين وضواحيها ومن هنا امتد نفوذه إلى أرض الظفرة.. وإن البدو ليحترمونه. وقد كرّس الشيخ زايد بن سلطان المال القليل الذي توافر لديه للقيام بإصلاحات في منطقة العين.. ويرجع إليه فضل بسط نفوذ أبوظبي على البادية.. ويرشحه كل هذا، إلى جانب عدالته وروحه الإصلاحية، وقدرته السياسية إلى أن يكون رجل البلاد المنتظر في إمارة أبوظبي».

salem bin ham.indd 59 3/7/19 2:37 PM

لقد بدأ الشيخ زايد منذ العام 1953 يستطلع بنفسه ما يشهده العالم من تطوّر وتقدّم وما تحفل به هذه الدولة أو تلك من متغيرات.. وأصبحت لديه رؤية واضحة زادت من قناعته بمدى حاجة البلاد إلى التنمية والتطور واللحاق بركب الحضارة والتقدم. وكانت رحلته الأولى إلى بريطانيا وتتابعت بعدها زياراته إلى دول أخرى.. الولايات المتحدة ولبنان والعراق ومصر وسوريا والهند وإيران.. وبهذا الخصوص يقول سالم بن حم: رافقت الشيخ زايد في حلِّه وترحاله في الوطن وخارجه.. إنه جانب آخر في التحول الذي شهدته حياة بن حم.

وفي تلك الفترة.. ولم يكن الشيخ زايد قد تولَّى بعد مقاليد الحكم في إمارة أبوظبي.. زار باريس.. شاهد أكبر متاحفها وقرر في ذهنه أنَّ بلاده قد تشهد يوماً مثل هذه المتاحف على أرضها.. ثم رأى الصحف وأعتقد أن بلاده سوف تكون لها صحفها يوماً أيضاً. كان يراقب ما حوله في إخلاص وصدق وبلا «أوهام».. هذا ما يذكره كلود موريس في كتابه: «صقر الصحراء».

ومنذ اليوم الأول الذي تسلَّم فيه الشيخ زايد مقاليد الحكم في إمارة أبوظبي: السادس من أغسطس 1966.. كان كل اهتمامه أبناء شعبه.. كان يريد أن يعوضهم كل ما عاشوه

salem bin ham.indd 60 3/7/19 2:37 PM

من حرمان وفقر وتخلُّف.. لقد جاء في الاستطلاع الذي قامت به مجلة العربي الكويتية في إمارة أبوظبي عام 1961: أراضي أبوظبي مساحة صحراوية شاسعة.. رمالها صفراء وحمراء تتخللها منطقتان زراعيتان.. والحدود الشمالية هي ساحل كبير كثير التعاريج.. الواقف على هذا الساحل يخيَّل له أن هذه الصحراء الرملية المحرقة قد ألقت بنفسها ـ من فرط يأسها ـ في أحضان الخليج..!. أما الاتصال بين أجزاء أبوظبي فمعدوم.. التعليم في أبوظبي بدأ عام 1958 ثم توقف في عام 1959 ليبدأ مرة ثانية في عام 1961. وليس في أبوظبي مستشفى، إنما فيها بعض العيادات الصغيرة.

يقول محمد عبدالجليل الفهيم، وهو من الذين عاصروا ذلك الزمن الصعب، في كتابه القيّم: «من المحل إلى الغنى.. قصة أبوظبي»: كان معظم الناس يعيشون في بيوت «عرش» أي الأكواخ المصنوعة من خشب وسعف أشجار النخيل وهذه هي الشائعة حتى أواخر الستينيات.. وكان الماء المائل إلى الملوحة المستخدم للشرب والطهي والاستحمام يسحب إما من آبار ضحلة تحفر داخل المنزل أو حوله أو يجلب من آبار مشتركة موجودة على مسافة من مجمعات البيوت. وكانت الآبار العمومية على مسافة حوالي كيلومتر

salem bin ham.indd 61 3/7/19 2:37 PM

من أبوظبي. وكانت مهمة التردد جيئةً وذهاباً إلى البئر، وهي مهمة شاقة، أسهل على الأُسر التي تملك حماراً يمكن استخدامه في حمل الماء، وفي معظم الحالات كانت النساء هن اللواتي يتولين هذه المهمة فقد كان امتلاك حمار رفاهية لم تكن تتوفر إلا لقلة من الناس.. وكان معظم الناس أفقر من أن يحموا أنفسهم كما يجب من سطوة عناصر الطبيعة. ولم تكن الأحذية وأغطية الرأس موجودة لديهم، ومعظم الناس وخصوصاً البدو يطيلون شعورهم لحماية رقابهم من أشعة الشمس اللاهبة.. وفي الستينيات اتخذت الغترة والعقال لباساً وطنياً للرأس. وكان معظم الناس لا يجيدون القراءة أو الكتابة، ونسبة الأُمية حوالي ثمانية وتسعون بالمئة. وحيث إن أحداً لم يكن يجيد القراءة تقريباً قبل العام 1960 فلم تتوفر لنا سجلات تاريخية موثقة خاصة بنا.. ولهذا السبب فإن أحداً لا يمكن أن يعرف ما الذي كان يجري غير الأشخاص الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت.

هكذا كانت الحياة.. لكن العزم جعلها على النقيض تماماً وبكل تفاصيلها.. «كان الشيخ زايد قادراً على التغلب على عامل الزمن.. إنه بوسائل محدودة غيّر صورة العين والأماكن المجاورة لها، وجعل منها المحور الاقتصادي للمنطقة..». هذا

salem bin ham.indd 62 3/7/19 2:37 PM

ما جاء في الكتاب التاريخي الوثائقي: «قصر الحصن.. تاريخ حكام أبوظبي 1793 – 1966»، تأليف جوينتي مايترا وعفراء الحجي.. وعن تولي الشيخ زايد الحكم في عام 1966، جاء في الكتاب: كان يُعدُّ بحق شخصية قوية.. الجميع يحترمونه لما يحظى به من صفات قيادية وقدرة على اتخاذ القرارات الحاسمة والجريئة.. ليحول الحلم إلى حقيقة خالدة.

يقول بيتر هيلير في كتابه: (أيام زمان في أبوظبي..): كانت خبرات الشيخ زايد الممتدة على مدى عشرين عاماً، ممثّلا للحاكم في العين، قد هيأته بشكل مثالي لحكم إمارة أبوظبي.. لقد تبلورت لدى سموه من خلال رحلاته داخل صحارى أبوظبي، رؤيته المستقبلية لتطوير الإمارة.. وتحرك بشكل فوري لتجسيد تلك الرؤية على أرض الواقع، بالاستفادة من النمو المتسارع لإنتاج النفط وعائداته.. وكانت أبوظبي قد انضمت إلى الدول المنتجة للنفط اعتباراً من عام 1962.. وقال الشيخ زايد: «لا قيمة للثروة إذا لم تسخّر في خدمة الشعب». ويقتبس هيلير من مذكرات محمد فهيم قوله وهو يستذكر تلك الأيام: لقد بدأت عملية تحول مذهلة تشق طريقها إلى الأمام.. وبعد ما يزيد على سنة تقريباً من تاريخ تولي الشيخ زايد حكم الإمارة.. كانت أبوظبي تتغير بخطى

salem bin ham.indd 63 3/7/19 2:37 PM

متسارعة تدير الرؤوس.. لقد كان يتم إنشاء مدينة بأكملها من العدم.

قال الشيخ زايد: لا بدّ من إسعاد الشعب وإقامة نهضة شاملة في كافة المجالات.. لا بدّ ألا نعرف النوم لكي نصل إلى كل آمالنا في فترة قصيرة.. وسألوا الشيخ زايد عندما طرح أفكاره: إن تحقيق هذه الأفكار يحتاج إلى عشرات السنين.. فقال زايد: بالإيمان والعمل المتواصل علينا أن نختصر الزمن.. وفتح أبواب أبوظبي لكل الخبرات.. وأشرف بنفسه على تخطيط أبوظبي.. التخطيط الدقيق في كل اتجاه: في إقامة العمران لكي يسكن الناس في منازل عصرية.. في إقامة الطرق التي تسهل للناس سبل الانتقال.. في إقامة المدارس.. في إقامة المستشفيات.. وفي إقامة الموانئ والمطارات.. وكان الشيخ زايد يقول للخبراء: لا بدّ من السخاء حتى نحصل على ما نريده بسرعة فائقة.. نريد أيها الرجال أن نختصر الزمن.. وأن نصل إلى أهدافنا بأحسن الطرق وأسرعها.. فلقد عانى الشعب الكثير.

وبدأت المسيرة.. وبدأت الآلات الضخمة القادمة عبر البحار والمحيطات تعمل في أبوظبي.. حتى أصبحت أبوظبي كمعسكر عمل.. صوت الآلات بلا انقطاع.. وأصبح القادم إلى

salem bin ham.indd 64 3/7/19 2:37 PM

إلى أبوظبي يلحظ تغييراً يومياً في كل اتجاه في أبوظبي حتى غدت أمراً مختلفاً تماماً.. كان الشيخ زايد يقول: ينبغي ألا يقل ما يخصص لمشروعات التنمية في ميزانية كل عام عن 80% من واردات البترول.. وكلمته المأثورة: «إنه لا قيمة للأموال إذا لم تستثمر في تحقيق خدمة ومنفعة الناس.. فالأموال زائلة والأعمال باقية أبد الدهر».

لقد جاء في الاستطلاع الذي قامت به مجلة العربي الكويتية في إمارة أبوظبي عام 1968: إن أبوظبي اليوم ورشة بناء هائلة جعلت منها جنة للمهندسين والبنائين الذين يقع عليهم العبء الأكبر في تحويل هذه الصحراء إلى مبانٍ حديثة وعمارات ضخمة وشوارع وميادين.. لقد وُلد في مستهل هذا العام مجلس التخطيط.. وهكذا بدأ بناء أبوظبي الحديثة. أبوظبي إمارة من إمارات الخليج العربي.. بدأ اسمها يتردد على كل لسان بعد أن تفجَّر النفط تحت رمالها وتحت مياهها.. لم يكن يزيد عدد سكانها عن 15 ألف نسمة عندما زرناها عام 1961 أما اليوم (1968)، فقد قفز العدد إلى 47 ألف نسمة.

وقف الشيخ زايد عام 1966 يعلن للعالم مولد عهد جديد للمنطقة بقوله:

salem bin ham.indd 65 3/10/19 12:28 PM

«إذا كان الله جَّل وعلا، قد مَنّ علينا بالثروة، فإن أول ما التزمنا به لإرضاء الله وشكره، هو أن نوجِّه هذه الثروة لإصلاح البلاد، ولسوق الخير إلى شعبها، وذلك عن طريق بناء مجتمع تتوافر له وسائل التعليم والصحة والمسكن والمأكل. إننا نؤمن بأن لهذا الوطن وأبنائه حقّاً علينا بأن يتخلص من مرارة الفقر وقسوة التخلف ليسير في طريق الحياة الكريمة».

وبدأ الشيخ زايد يحقق ما وعد به.. وأعلن خطة خماسية طموحة.. ولما كان هناك إحجام من الأهالي عن تعليم أطفالهم في المدارس لحاجتهم إليهم في أعمالهم، قرر الشيخ زايد منح رواتب لكل طالب وطالبة تتعلم في المدرسة.. مع تقديم وجبة غذاء يومية، وأربعة أطقم ملابس سنوياً بالمجان.. وأثمرت الخطة وارتفع عدد الطلبة من 700 إلى 2300 طالب وطالبة، ويجري العمل حالياً (1968)، لبناء (11) مدرسة جديدة مرة واحدة.. وتشرب أبوظبي من مياه منطقة السد قرب مدينة العين من خلال أنبوبين.. وتقدّم المياه مجاناً للمواطنين.. وهناك مناقصة لإنشاء محطة لتقطير ماء البحر وسوف يبدأ إنتاجها بين شهري أغسطس وسبتمبر من عام 1969.. والماء الذي يأتي بالأنابيب من السد قرب العين هو ماء عذب لا يحتاج إلى تصفية.. والعين هي المدينة المفضَّلة

salem bin ham.indd 66 3/7/19 2:37 PM

لحاكم أبوظبي، فقد كان مسؤولاً عنها قبل أن يصبح حاكماً للبلاد، لهذا ذهلنا عندما وصلناها.. كان قرية صغيرة ضائعة وسط الصحراء عام 1961 فأصبحت اليوم مدينة مرصوفة الشوارع أضيئت فيها الأنوار قبل أن تضاء العاصمة نفسها.. كانت الجمال تتقاطر إليها من كل صوب، فأصبحت السيارات تقطع شوارعها الطويلة المعبَّدة.. ويمكنك التحدث دون حرج عن عشرات المشاريع العمرانية المخصصة لمدينة العين، والتي ستجعلها المدينة الأولى في أبوظبي الحديثة!. وتختم مجلة العربي الكويتية استطلاعها عن إمارة أبوظبي عام 1968.. بما نصه: «ولكن الدخول في تفاصيل المشاريع القائمة في أبوظبي من الصعوبة بمكان لكثرتها وتنوعها.. والأحاديث لا تدور إلا بالملايين وبكلمة «أكبر مصنع وأكبر معمل وأكبر محطة في الشرق».. ولكن هذه المغالاة نرحب بها لأنها طبيعية، ولأنها تكشف عمّا في قلوب القوم من آمال كبار جسام، حقق الله الآمال».

ولنتأمل ما يقوله كلود موريس في كتابه: «صقر الصحراء»:

«نجد في الشيخ زايد، رجلاً تفنن في إحداث تغييرات هائلة.. هو الذي تولى الحكم في بلد لا هاتف فيه ولا طرق

salem bin ham.indd 67 3/7/19 2:37 PM

معبدة، وعدد مدارسه قليل.. إنه يمقت الرجل الذي ينشغل بمستقبله الذاتي... لقد أصرَّ الشيخ زايد على استعداده لصرف آخر فلس من ثروته الخاصة إذا اقتضت الضرورة، لإحداث التغيير الاجتماعي..».

وجاء في الدراسة المسحية الشاملة عن دولة الإمارات العربية المتحدة التي أنجزها معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة: ومما يميِّز حكم الشيخ زايد إرساء قواعد التنظيم الحكومي وإبراز دور أبوظبي في المجال العربي، إذ ما كاد يستقر في الحكم حتى أخذ يضع خطة كبيرة لنهضة إماراته، وذلك بإنشاء مجلس للتخطيط في مارس 1968، وقد رَأسَ الشيخ زايد ذلك المجلس الذي عُهدت إليه مهمة وضع وتنفيذ خطط الإعمار الشامل. وقد رصد للخطة الخمسية الأولى 1968 - 1972 ثلاثمائة مليون دينار بحريني أُنفقت في التعليم والصحة والزراعة والمواصلات. وكان من بين ما تضمنته تنفيذ مشروع لإمداد الإمارة بالمياه العذبة.. كما تضمنت مشروعاً زراعياً كبيراً في جزيرة السعديات؛ وهي جزيرة رملية صحراوية.

لقد كانت خطة تنموية سريعة مكثفة يقودها الشيخ زايد بكل حزم وتصميم.. عاقداً العزم على تحقيق الرؤية

salem bin ham.indd 68 3/7/19 2:37 PM

التي راودته منذ سنوات عديدة.. تنمية أدخلت الإمارة بالفعل إلى العالم المتطور بسرعة هائلة.. وبدأت العائلات التي انتقلت إلى الدول المجاورة بحثاً عن العمل وفرص التعليم التي لم تكن متوفرة في البلاد أو كانت بطيئة الخطى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، رحلة العودة إلى الوطن للمساهمة في بناء أبوظبي الجديدة.. إن أول مشاريع الخطة التنموية الكبرى شملت إنشاء نظام للصرف الصحي، وبناء أول مستشفى في أبوظبي، ومطار دولي، وجسر المقطع ليحل محل المعبر القديم، وكاسر للأمواج، وشق طريق دولي سريع بأربعة مسارات عبر الصحراء إلى مدينة العين، وشبكة طرق في كل من أبوظبي والعين، وإنشاء محطة لتوليد الكهرباء وتحلية المياه.. لقد تم استثمار مبالغ كبيرة من المال في بناء المدارس، وجرى استحداث برنامج لابتعاث الطلاب إلى الخارج للدراسة على نفقة الحكومة.. كما تم التركيز على تعليم الكبار، الرجال والنساء، الذين أخذوا يلتحقون بصفوف محو الأُمية.. وكانت الكثافة السكانية في إمارة أبوظبي تتركز على جزيرة أبوظبي نفسها.. وفي منطقة العين وجزيرة دلما وواحة ليوا وخارج تلك المناطق، كان الناس يعيشون حياة البداوة القاسية.. ولما كان الشيخ زايد على علم تام منذ طفولته

salem bin ham.indd 69 3/7/19 2:37 PM

بقسوة الحياة في الصحراء.. أصدر تعليماته بشمول مشاريع التنمية الأهالي المقيمين في المناطق النائية، وأن لا تتركز تلك المشاريع في المراكز الكبرى للتجمعات السكانية فقط.. وفي بداية عام 1969، بدأت محطة إذاعة أبوظبي بالبث.. تبعها في يونيو من العام نفسه، الإرسال التلفزيوني.. لقد تحولت أبوظبي ما بين عامي 1966 و1971، من قرية ساحلية صغيرة إلى مدينة حديثة عصرية.. ويُعدُّ تطورها مثار إعجاب شديد بكل المقاييس.. هذا ما يقوله پيتر هيلير في كتابه: «أيام زمان في أبوظبي».

لقد أجاب الشيخ زايد حين سأله صحفي فرنسي: هل تعتقد أن الثروة التي ظهرت في أبوظبي وغيّرت كثيراً من مظاهر الحياة غيّرت أيضاً روح المواطن؟

«أبداً.. لم تسبب الثروة تغيّراً في روح المواطن.. ستبقى الروح كما هي.. وسيبقى الشعور بها كما هو.. كل ما في الأمر أن هذه الروح ستزداد بريقاً وستصقلها الثقافة والعلم..».

هذا ما يذكره راشد عبد الله في كتابه: «زايد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد».. ويقول: أعلن زايد عن سياسته.. وعلى رأسها ضرورة قيام اتحاد يضم الإمارات العربية

salem bin ham.indd 70 3/7/19 2:37 PM

الممزقة على ساحل الخليج العربي.. وشعرتُ يومها بالأمل.. وتصور الآخرون أنها مجرد شعارات.. وهناك فرق شاسع بين تأليف شعار من كلمات مرصوصة لدغدغة الناس.. وبين تحقيق هذا الشعار. كانت التصريحات تؤكِّد صدق الرجل.. ومحاولته الصبورة لقيام اتحاد الإمارات العربية المبعثرة على ساحل الخليج العربي. وفي القاهرة التقيت بالأخ الصديق الأستاذ أحمد خليفة السويدي وكان وقتها قد عُيِّن حديثاً مديراً للديوان الأميري.. وقال الأستاذ أحمد خليفة السويدي: إن الشيخ زايد يعمل من الآن لقيام اتحاد الإمارات العربية، اتحاد يضم كل الإمارات في دولة واحدة قوية. وقال: ولقد جئنا إلى القاهرة للقاء الدكتور السنهوري العلاّمة في الدساتير ليضع لنا دستور الاتحاد.. ويومها قلت للأخ السويدي: وماذا عن العقبات؟ قال السويدي: لقد تحدثنا في هذا الأمر مع الشيخ زايد. وقلت: وماذا قال لكم؟ قال الأستاذ السويدي: قال لنا الشيخ زايد: أنا أعلم هذه العقبات.. ولكني لا أؤمن بالمستحيل.. لنحاول في كل ما نتصوره مستحيلاً حتى يتحول المستحيل إلى مقربة من الواقع.. ثم يصبح واقعاً نعيش فيه. وقال زعيم البلاد أيضاً: إن الاتحاد هو مطلب أساسي من مطالب شعب الخليج العربي، وأصحاب العظمة حكام

salem bin ham.indd 71 3/7/19 2:37 PM

الإمارات أصدقاء وأشقاء.. والاتحاد يحتاج إلى تضحية.. وأنا سأبذل جهدي لقيام هذا الاتحاد. يقول راشد عبد الله: إن الشيخ زايد تصرّف منذ اليوم الأول على أن الاتحاد قائم فعلاً.. وأن هذه الأرض المتماسكة والتي يبعثرها خطوط وهمية اسمها الحدود بين الإمارات لا وجود لها.. كان يرى المستقبل بإلهام شديد.. ويعمل لكل صغيرة وكبيرة الحسبان.. أنا أعرف الرجل.. أعرف أنه ينظر إلى أبعد من جدران حدود أبوظبي، بل من جدران الخليج العربي.. أعلم أن الرجل يريد أن يحطم هذه الحوائط الوهمية التي تفصل بين أبناء المنطقة.. الرجل لم يكن يخفي طموحه وآماله عندما كان حاكماً في المنطقة الشرقية.. كان يقول دائماً: لو أمكن توحيد هذه البلاد في دولة واحدة قوية.. لو أمكن ذلك فإن كثيراً من أمراض المجتمع سوف تختفي حتى لو لم يظهر البترول.. يقول الشيخ زايد:

«الاتحاد أمنيتي وأسمى أهدافي لشعب الإمارات العربية.. فأبناء هذه المنطقة جميعاً شعب واحد.. إن أبناء هذه المنطقة جميعاً إخوة من أصل واحد. لغتهم واحدة ودينهم واحد.. وحتى الأرض التي عاشوا عليها منذ آلاف السنين كانت دائماً وحدة واحدة.. ولقد جمعهم التاريخ دائماً أيضاً

salem bin ham.indd 72 3/7/19 2:37 PM

في صف واحد أمام الغزاة والطامعين وفي مواجهة المحن. وأنا في الحقيقة لا أقول شيئاً جديداً فهذه الوحدة قائمة وموجودة منذ القِدَم ويشعر بها أبناء الإمارات في أعماق قلوبهم. إنني أنادي فقط بأن توضع هذه الوحدة في إطارها الطبيعي.. وتأخذ شكلها الرسمي النابع من جوهرها الحقيقي».

عن دولة الاتحاد.. يقول سالم بن حم: بعد أن تسلم الشيخ زايد مقاليد الحكم في إمارة أبوظبي، وقبل خمس سنوات من قيام دولة الإمارات، قدّم سموه خلال هذه الفترة عصارة جهده. وعمل كل ما في وسعه من أجل أن يرى الخير يعمّ جيرانه، وأن يرى حلمه بالاتحاد حقيقة واقعية يقيناً منه أن في الفرقة ضعفاً، وفي الاتحاد منعة وقوة، ففكرة الاتحاد عنده كانت قناعة قديمة منذ زمن بعيد، وكان الشيخ زايد يحدثنا عن فكرة الاتحاد قبل قيامه كأنه يراه، ويعرفه، ويدرك المستقبل، والطريق الذي سيسير فيه، ولم يهدأ حتى حقق حلمه في الوحدة. وكان مجلسه دائماً عامراً بالرجال الصالحين من ذوي الخبرة والرأي السديد يستشيرهم، ويناقشهم، ويستمع إلى آرائهم حتى يكون قراره صائباً. فإعلان قرار الاتحاد في البداية بين إمارتي أبوظبي ودبي كان خطوة أولى لبلورة الحلم الأكبر الذي تحقق على يد زايد مما جعل الفرحة

salem bin ham.indd 73 3/7/19 2:37 PM

تغمر كل شعوب المنطقة، وهكذا بالصبر والعزيمة الصادقة استطاع زايد أن يجعل الحلم حقيقة، وكلما انتهى من تحقيق إنجاز تجاوزه إلى ما هو أهم وأكبر، زاده في ذلك توكله على اللّه، وحبه الكبير لشعبه، وسعيه الدائب لإسعاده، والارتقاء به على كافة المستويات، وتوفير سبل الرفاهية والتقدّم.

وتطلع الشيخ زايد في الوقت نفسه إلى بناء المواطن.. إنه أمر هام استطاع برؤيته الثاقبة تحقيقه.. ولم تمضِ سنوات قليلة على توليه حكم إمارة أبوظبي حتى أقيم المجلس الاستشاري الوطني وكان سالم بن حم من أعضائه.. الجلسة الافتتاحية للمجلس يروي تفاصيلها راشد عبد اللّه وهو رجل مسؤول في حكومة أبوظبي آنذاك.. يقول في كتابه: «زايد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد»، ما نصّه: «في الجلسة الافتتاحية قال زايد لأعضاء المجلس الاستشاري: إن ثمة حقيقة واضحة في هذه الحياة.. وهي أن من يقود عباد اللّه إلى الإخلاص ورضا اللّه عنه.. فهو سعيد.. وسيصل إلى المنزلة التي ينشدها من السمو والرفعة وإلا أرسل اللّه غيره ليقود.. وأنا لم أفعل شيئاً بعد فأمامي الكثير أقوم بعمله من أجلكم.. لقد رزقنا اللّه بالثروة والإمكانات. ولقد قمت بواجبي ولم أقصِّر أو أتقاعس، ولكن لم أجلب الثروة.. لقد

salem bin ham.indd 74 3/7/19 2:37 PM

أرسلها لنا الله وقادنا إلى استخدامها في الطريق الصحيح.. لأن الثروة إذا لم تصرف في طريقها الصحيح أصبحت نقمة بدلاً من أن تكون نعمة. وتابع حاكم البلاد حديثه قائلاً: «أيها الناس عليكم أن تعلموا أن وطنكم هو بمثابة والديكم.. ولن تكون لنا عزة أو كرامة أو جاه أو سلطان بدون هذا الوطن.. فهو حياتكم ومماتكم، ويجب أن يكون مطلبكم الأول والأخير، واعلموا أن إيمانكم بالله يتلوه ويعقبه إيمانكم بوطنكم». وقال العضو سالم بن حم، موجهاً كلامه إلى الشيخ زايد: الله يرضى عليك يا زايد.. لقد أكرمتَ كبارنا وعلمتَ صغارنا.. ولم تقصر في صغيرة أو كبيرة.. وكنت لنا بمثابة الوالد الحنون. وقال زايد: إن الوالد الحنون إذا لم يهده الله إلى رعاية ولده.. لن يستطيع القيام بواجبه تجاه ولده.. وقد تصبح بينهما عداوة وخصام. وصمت زايد لحظات.. ثم قال: يجب أن نتذكر الماضي بعين معتبرة، وقلب واعٍ.. وأن يكون الماضي عبرة نعتبر به لحاضرنا.. إننا إذا أمعنا النظر في الأرض القاحلة لوجدناها قد تحولت إلى أرض خضراء.. والأرض الجدباء الخالية تحولت إلى عمارات وأسواق حديثة.. وطريق الأيام أصبح يقطع في ساعات. إن أكثر ما يفرحنا ويسعدنا.. هو الراحة التي ينعم بها الشعب الآن بعد الشظف والضنك

salem bin ham.indd 75 3/7/19 2:37 PM

وهـذا دليـل علـى رضـا اللّه علينـا. إن الأمـن والطمأنينـة التـي نشـعر بهمـا مـا همـا إلا نتيجـة لتوفيـق اللّه ورضـاه علينـا. ويقـف سـالم.. متأثـراً بحديـث زايـد قائـلاً: وفقـك اللّه يـا زايـد. ويقـول زايـد: «إنـي أحـرص عليكـم ويهمنـي أمركـم وإسـعادكم..».

ولقـد جـاء في الجـزء الأول مـن الكتـاب المعنـون: (يوميـات زايـد): إنـه في الثانـي مـن أكتوبـر 1971.. «أدى أعضـاء المجلـس الاستشـاري الوطنـي الأول اليمـين الدسـتورية بـين يـدي صاحـب السـمو الشـيخ زايد بـن سـلطان آل نهيـان حاكـم أبوظبـي وذلـك في قصـر البحـر بحضـور أصحـاب السـمو والسـعادة الـوزراء».

وكان الشـيخ زايد رحمـه اللّه، قـد أصـدر في اليـوم الأول مـن شـهر يوليـو عـام 1971، القانـون رقـم (2) لسـنة 1971 بإنشـاء المجلـس الاستشـاري الوطنـي لإمـارة أبوظبـي، وقام طيـب اللّه ثـراه بافتتـاح أول دور انعقـاد لهـذا المجلـس في الثالـث مـن أكتوبـر للعـام نفسـه.

وجـاء في المـادة الأولـى مـن القانـون المذكـور: يشـكل مجلـس استشـاري وطنـي ليعـين الحاكـم والمجلـس التنفيـذي (لإمـارة أبوظبـي) علـى أداء مهامهمـا، ويتألـف مـن وجـوه البـلاد وأعيانهـا ومـن ذوي الـرأي والمكانـة فيهـا وممـن أسـدوا للبـلاد خدمـات

salem bin ham.indd 76 3/7/19 2:37 PM

مرموقة.

يقول سالم بن حم: أنشأ الشيخ زايد مجلساً استشارياً لإمارة أبوظبي، ليساعد الحكومة على أداء مهامها ومسؤولياتها الجسام.. وقد قال في هذا المجلس هذه المقولة التي لن أنساها أبداً: «إن واجب أعضاء المجلس الاستشاري الوطني هو المشاركة في بناء البلاد، وإرساء قواعد الحكم على أسس ديمقراطية سليمة تؤمن لشعبنا الحياة الحرة الكريمة.. إن المجلس الذي نبدؤه اليوم ليس جديداً على مجتمعنا فقد عرفت أبوظبي مبدأ الشورى منذ مئات السنين».

إن مبدأ الشورى ليس مبدأ ظرفياً مؤقتاً.. إنه أداة فاعلة.. دورها مؤثر في كل الأحوال والأوقات وفي هذا الصدد يقول الشيخ زايد: «ولسوف يظل مبدأ الشورى من أهم أُسس حياتنا.. وأنا أتطلع إلى المستقبل عندما يأتي الأبناء ويستمرون في تطبيق هذا المبدأ بما يتلاءم وحياتهم وعصرهم ونظمهم».

وهكذا نجد الشيخ زايد لا يكتفي بالدلالة على أهمية هذا المبدأ والعمل به بل يوجه رؤيته إلى الأجيال القادمة للتمسك به والعمل على تطبيقه بما يتماشى وطبيعة الحياة

salem bin ham.indd 77 3/7/19 2:37 PM

التي يعيشونها.. وحرص الشيخ زايد هنا إنما هو نابع من قناعته التامة بمدى فاعلية هذا المبدأ الذي قال فيه الله عزوجل: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ وكذلك ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ذلك أن الشورى تفتح المجال واسعاً لتبادل الرأي والأفكار والوقوف على الحلول الجماعية الأكثر إصابة للهدف.

ويضيف بن حم قائلاً: إن الشيخ زايد منذ أن كان ممثلًا للحاكم في مدينة العين لم يكن هناك ما يحجبه عن شعبه ويفصله عنهم.. «فخيمته كانت بلا باب».. إنه يتحدث مع الجميع بلا حواجز.. ويستمع إلى الكل صغيراً وكبيراً وفي أي وقت بدون تكلف وهكذا عوَّدنا دائماً.

إن مجلس الشيخ زايد كان عامراً بذوي الخبرة والرأي يستشيرهم ويناقشهم ويستمع إلى آرائهم بكل اهتمام وهذا الأمر يمثل عادة متأصلة في تقاليد الآباء والأجداد. ويقول سالم بن حم: لقد كان الصبر من أهم صفاته التي تميز سلوكه، فطريقه منذ البداية لم يكن سهلاً أبداً، بل كان محفوفاً بالصعاب.. سلاحه الرأي السديد ومحبة الناس له. حين تولى حكم إمارة أبوظبي كان يواجه ضغوط العمل بصدر رحب، يقول بحكمته عن ذلك: «ربما كان ضغط العمل هو الذي أبعد عني المخاوف أثناء معالجة شؤون الإدارة، وكنت أواجه

salem bin ham.indd 78 3/7/19 2:37 PM

المشاكل بكل ارتياح، وكل عمل حققناه يعقبه شعور بالرضا».

وفعلاً فإن الصبر ومواجهة التحديات جعلت عزمه لا يفتر، وطموحه لا يذبل. وكنا نعرف أنه إذا خرج علينا مبتسماً فذلك يعني أن هناك بعض الأمور الصعبة، ولكن لا يظهرها لنا، وإذا ما خرج علينا صامتاً، فمعنى ذلك أن الأمور حسنة، فزايد عند الشدائد كان لا يبدي لنا إلا السرور والاطمئنان، وكان يحرص على ألا يكون للحرية مضمون أجوف، بل يريدها ممارسة عملية تتجسد في الواقع تشريعياً وتنفيذياً، أي أن يرتبط القول بالفعل ويلازمه، وإلا كانت تلك الحرية هشة بلا فائدة ولا جدوى. ومن هنا كان - وبكل بساطة - يريد من خلال الحرية أن يقول كل فرد رأيه بكل صراحة من دون مجاملة أو وصاية، وفي المقابل يجب أن يكون هناك من يسمع الرأي وينصفه، وفي هذا الأمر كان الشيخ زايد يقول ويردد: «مطلوب الصدق لا التصديق».. «إنني أريد من كل مواطن أن يعبر عن رأيه بصراحة، لأننا نتلمس من هذه الآراء رغبات المواطنين ونعمل على حلّها، وأنا مع النقد البنّاء وكل مجاملة على حساب المصلحة العامة أرفضها رفضاً باتاً، فالذين يربطهم مصير واحد لا تجوز بينهم المجاملة».

كثيرة هي المآثر والكلمات التي يحفظها سالم بن حم

salem bin ham.indd 79 3/7/19 2:37 PM

عن ظهر قلب، لرفيق عمره الشيخ زايد والتي منها: «الشيء إن لم يكن في زيادة فهو في نقصان».. «والوقت من ذهب لا يعود إذا ذهب» و«من عرف كيف يصرف وقته في أعمال مفيدة، عرف التاريخ كيف يكتب له الإنجازات الكبيرة». والقول الذي كان الشيخ زايد يردده دائماً: «لا فائدة من المال إذا لم يسخر لصالح الشعب». حيث كان ينظر إلى الثروة على أنها أداة يتم استغلالها لتنفيذ الأفكار، لذا حرص على حسن استخدام المال للصالح العام، وليس في الإمارات فقط، بل امتدت يده السخية لتصافح الإنسان وتمد له العون في شتى أنحاء العالم.

لقد كان الشيخ زايد، يقول بن حم: كما عرفناه وعرفه الجميع يتمتع بالحكمة والرؤية الثاقبة، وقد تجلّى ذلك بوضوح من خلال القدرة الفائقة والحرص الشديد على تصفية الأجواء بين القبائل وإعادة الوئام والأمان إليها، مما كان له بالغ الأثر في تحقيق عنصر الأمن والاستقرار في المجتمع. وقد اتخذ الشيخ زايد من شيوخ وزعماء القبائل الذين أحاطوا به وبادلوه حباً بحب، بطانة صالحة تجسيداً لما عرف عنه رحمه الله من احترام لمبدأ الشورى. يتبادل معهم الرأي والمشورة في كثير من شؤون القبائل والأمور الأخرى التي تدخل في صلب

salem bin ham.indd 80 3/7/19 2:37 PM

العمل الوطني. وبحكم قربي منه كنت أحد الذين حازوا هذه الثقة الغالية، وهذا الشرف الكبير وذلك بتكليفي ببعض الأمور والمهام التي تدخل في صلب العمل الوطني والتي أنجزناها بفضل المولى عز وجل أولاً، ثم بفضل الشيخ زايد ورؤيته الثاقبة وتوجيهاته السديدة، بنجاح كبير. وإن المجلس الذي كونه للنظر في الأمور المهمة التي تخص الإمارة وأخذ المشورة تجاه مختلف القضايا، كان يتكون من شيوخ القبائل وأهل العلم والدراية سواء كانوا شيباً اكتسبوا المعرفة من خلال تجاربهم في الحياة، أو شباباً نهلوا الفكر النير من خلال تحصيلهم العلمي، واهتم زايد بهذا المجلس وخصص له الرواتب والحوافز المادية التي تجعله يقوم بعمله كأحسن ما يكون. وفي هذا الإطار قال زايد: «ولسوف يظل مبدأ الشورى من أهم أُسس حياتنا وإلى الأبد، أنا أتطلع إلى المستقبل عندما يأتي الأبناء ويستمرون في تطبيق هذا المبدأ بما يتلاءم وحياتهم وعصرهم ونظمهم».

ويقول سالم بن حم عن حرص الشيخ زايد على التنظيم والتخطيط: منذ أن كان ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية كان يحرص على نظيم أحوال الناس وإصلاح شؤونهم، لأنه يرى أن الفوضى تحدُّ من عمل الإنسان وتجعل الأمور معتمة وغير

salem bin ham.indd 81 3/7/19 2:37 PM

واضحة، وظلت فكرة التنظيم ماثلة في ذهنه في كل عمل يقوم به سواء في إرساء المؤسسات الحكومية أو المشاريع والبرامج المستقبلية التي كان ينوي القيام بها. ومن التنظيم ينطلق بالتخطيط السليم لرسم آفاق المستقبل.

ويؤكد بن حم مراراً: أن رفقته التاريخية للشيخ زايد كانت فضلاً من الله عز وجل، ويقول: «زايد إذا رافقه الإنسان، ما وده أبداً أن يفارقه، حتى إنه طيب الله ثراه كان في كثير من المرات يطلب من الناس الذين يجلسون معه أن يعودوا إلى بيوتهم إذا تأخر غيابهم،، لكنهم كانوا دائماً يرفضون ويفضلون البقاء بقربه، وهذا كلام يشهد الله عليه».. حتى الأجانب الذين عرفوا الشيخ زايد في تلك السنوات، وشاهدوا بعيونهم كيف يتعامل مع الآخرين بتواضع وإنسانية وحب، كانوا أيضاً يشعرون تجاهه بالحب والتقدير والإعجاب. وما علمنا أبداً أن هناك شخصاً تعرف إلى زايد وقدر على مفارقته، وما من أحد جلس في مجلسه إلا وخرج منه مستفيداً بالحكمة والرأي السديد، والحماسة للعمل بنشاط وإرادة، كان الشيخ زايد يروي القصص التاريخية والواقعية ليستفيد منها الحاضرون، وفي كل قصة من هذه القصص إشارة إلى البطولة والفروسية أو الحماسة أو الشرف في الأخلاق والتقاليد، كان رحمه

salem bin ham.indd 82 3/7/19 2:37 PM

اللّٰه خبيراً بكل شيء، مرة نسمعه يتحدث عن الزراعة وشؤونها، وأنواع الزرع والشجر وما يصلح منها في الإمارات وما لا يصلح، ومرة نسمعه يتحدث عن البحر وما فيه من أسماك والمواسم التي تتكاثر فيها، ولم يكن ينفرد بالحديث دون غيره، بل كان يحرص على أن يعطي الحديث لمن يرغب، فإذا وجد الجالسين صامتين كان يروي الحكايات التي لا نمل من الاستماع إليها، وكان يسأل عن الغائبين ويمتدحهم، أما إذا أخطأ أحد فإنه يواجهه بخطئه ولا يتحدث عن ذلك إذ كان الشخص غائباً، ولا أنسى أبداً كيف كان زايد يبدو سعيداً عندما يقصده طالب ومحتاج، لم يكن يرد أحداً، بل كان قلبه مفتوحاً للجميع بلا استثناء.

إن الثاني من ديسمبر عام 1971، يُعدُّ تعبيراً عن خزين تاريخي حفيل بالأحداث والوقائع والمعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن ثم كان قيام دولة الإمارات العربية المتحدة تجربة رائدة في بناء الدولة الحديثة، وتصحيحاً لوضع شاذ، وتقويماً للخارطة السياسية بكل ما شهدته من مظاهر التقطيع والتمزيق.. وخلال مدة زمنية قياسية، استطاعت أن تكون أنموذجاً يُحتذى به، ناطقاً بالشواهد والمرتكزات على الصعد كافة.

salem bin ham.indd 83 3/7/19 2:37 PM

وبكلمات طموحة واثقة لخَّص الشيخ زايد فلسفة دولة الإمارات العربية المتحدة وسياستها وأهدافها، ورسم خطوط انطلاقتها من البداوة إلى الحداثة مع حفاظها على الأصالة.. يقول المغفور له الشيخ زايد:

«إنني لا أرغب في نقل البدو إلى المدنية بل سوف أنقل المدنية إلى البدو».

«ومن المهم أن نعتز بالماضي إذا أردنا أن ننجح في مواجهة الغد».

يقول كلود موريس وقد حظي بمقابلة الشيخ زايد عام 1974: «رحب الشيخ زايد بنا.. شاهدتُ الشيخ زايد: فيه عينان قويتان شديدتا التركيز. تحدقان في نظرة ثاقبة، وهي في هذه الصحراء بديل الأوراق الثبوتية للناس، وهي الطريقة التقليدية لتقييم الآخرين. إنه يبدو قوياً، رشيقاً، جيد الصحة، رابط الجأس، بلا شك، وعندما مد يده، بدت لي في شكل مدهش، ثخينة سميكة.. إنها يد رجل حفر بها الرمل وحمل الصخور واصطاد وزرع واستخدم السلاح.. لا يمكن الخطأ في معرفة هوية الشيخ زايد».

ويضيف كلود موريس في كتابه: «صقر الصحراء».. قائلاً:

salem bin ham.indd 84 3/7/19 2:38 PM

«جلستُ إلى يساره في مجلسه.. كان يستقبل الناس للتشاور ولسماع مشاكلهم وليقضي فيما بينهم. وسرعان ما أدركت ميّزة المجلس.. فهو مؤسسة ديمقراطية.. تجاوزت مراراً بل يمكن القول: إنها بزَّت التقدّم الجامد في الكثير من السياسة الغربية.. ويستطيع أي شخص أن يدخل المجلس بلا موعد سابق ومعاملة رسمية».

ويقول كلود موريس: وعندما تحدث إليَّ الشيخ زايد عاد بأفكاره إلى الماضي.. كانت أبوظبي في سني نشأته هي ذاتها، لم تكن تدرك بعد أن خيطاً سحرياً يشدها لتصبح من أغنى حقول النفط في القرن العشرين.. قال لي: «لقد أحببتُ ركوب الخيل والصيد، هذه كانت هوايتي التي تولعتُ بها». فقد بدأ بركوب الخيل منذ الصغر.. كان يرتدي غطاء رأس أبيض وجناداً وحزاماً يحمل بندقية ألمانية أو إنكليزية أو أي بندقية تطالها يده. أما بعض رجال القبائل الذين كانوا يصحبون زايد في أولى رحلاته إلى الصيد، فكانوا يحملون بنادق برتغالية من طراز القرن السابع عشر التي كانت موضوعاً لتندُّر البدو الذين يقولون: «إنها تعطي الغزال فرصة للرياضة»، كما كان يحتمل أن تنفجر في وجه صاحبها. وكان يترتب على الصياد أن ينتظر ونَفَسهُ منقطع لتنطلق القذيفة من سبطانتها البالغ

salem bin ham.indd 85 3/7/19 2:38 PM

طولها سبعة أقدام، وهي بندقية شبه بدائية.. لقد كان الصيد هواية زايد التي أصبحت، كما اعترف لي، تسلية استحوذت عليه إلى حدٍّ بعيد.. وفي سن الثامنة قام بإحدى أروع رحلات الصيد، أو القنص، بواسطة صقره سعياً وراء الحباري.. وتعلّم أن يعرف من العلامات الرملية أنه في طريقه إلى الحباري والعدد الذي قد يجده منها. كان يمسك الصقر بيده ثم يطلقه في اتجاه الفريسة لينقضَّ عليها من علو ألف قدم. وكان يغلف يده اليسرى بالمنقلة الزرقاء والصفراء المصنوعة من القنب، لحماية يده من براثن الطائر الحادة. وعندما يعود الصقر يلقي زايد البرقع الأزرق على عيني الصقر. وفي هذه السن المبكرة كان يستخدم بندقيته أيضاً بمهارة. وعندما تذكر تلك الأيام، بعد هذه السنين الطويلة، حدثني الشيخ زايد عن متعة تلك الأيام: «كنت أعبر ووالدي الماء في السفينة من أبوظبي إلى الجانب الآخر، وكان في صحبتنا قرابة ثلاثين شخصاً.. كانت السفينة الكبيرة ذات الشراعين تمخر مياه الخليج في رشاقة. وفي الظلّة البيضاء عند مؤخر السفينة جلستُ ووالدي وإخوتي وقرب مقدمها جلس القبطان. لقد حمل الباقون خيامهم وطعامهم.. إذ رحلة القنص الواحدة قد تدوم عشرة أيام.. وبعدما وصلنا إلى البر سار الجميع مئات

salem bin ham.indd 86 3/7/19 2:38 PM

الأميال في الصحراء، واليوم الموفق قد يشهد قنص اثني عشر طائراً وربما ستة غزلان. ولقد كان لحم الحباري لذيذ المذاق مشوياً.. والحباري طائر كبير علوه قدمان ونصف، ويصل وزنه إلى ثماني أوقيات.. كنا نبدأ يومنا في الرابعة صباحاً مع الفجر، ونعود قرابة الثانية بعد الظهر. وإذا كان القنص، سواء بالبندقية أو بالصقور، جيداً عدنا باكراً، حيث كان محتماً علينا حمل الطرائد بأنفسنا.. لقد كان وقتاً للرياضة والمغامرة المثيرة».. ويكتب كلود موريس قائلاً:

«والآن في العام 1974، فإن أي مراجعة موضوعية لسيرة الشيخ زايد تبيّن أن هذا الإنسان الذي وُلد في الصحراء قد قدم مساهمة رائعة في حياة بلاده.. إن صقر الصحراء الذي وُلد في مكان وظروف شبه مستحيلة، قد أيقظ مجتمعاً محلياً في العين. ومنذ تلك اللحظة وهذا الفرد البارز.. مستمر في تحضير بلاده التي أيقظها من سباتها العميق وأطلق مسيرة شعبها. إن الامتحان الحاسم في حياة الإنسان ليس كونه غنياً أو فقيراً، صغيراً أو كبيراً، إنما في التغيير الإيجابي الذي يحدثه في حياة الآخرين.. وإن مقاييس ذلك الامتحان لا بدّ أن تحكم على حياة الشيخ زايد وتعلن أنه صقر الصحراء».

ونستقرئ الاستطلاع الذي قامت به مجلة العربي

salem bin ham.indd 87 3/7/19 2:38 PM

الكويتية في مدينة العين عام 1974.. وقد نشرته في عددها لشهر ديسمبر من العام نفسه.. تقول في بدايته: الويل لك إن قطعت شجرة في أبوظبي.. إنها الجريمة التي لا تغتفر في هذا البلد النامي. الطرق المستقيمة تلتوي عندما تتقابل مع شجرة.. والمستشفى الضخم الكبير يستبدل مكانه إكراماً لخمسين شجيرة.. وحاكم البلاد يقطع جزءاً من جلبابه ليصلح به اعوجاج شجرة!.. إلى هذا الحد، وأكثر منه، وصل شعور سكان أبوظبي تجاه الشجرة.. إن هذا التكريم يعكس شعور 70 ألف مواطن يعيشون فوق أرض شاسعة تغطيها رمال الصحراء تماماً فيما عدا واحتين هما: العين، وليوا.. وتحت عنوان: شتّان.. بين رحلتين.. يكتب سليم زبال الذي قام بالاستطلاع قائلاً: وإلى واحة العين طارت بعثة العربي، ولم تكن هذه أول مرة تتجه فيها إلى تلك الواحة، فقد سبق أن زرتها في بداية عام 1962 ولكن شتّان ما بين الرحلتين.. في الرحلة الأولى كتبنا نتأسف على حال العين بقولنا: «لقد نسيهم التاريخ حقبة طويلة، حتى أصبحت أبسط مظاهر الحياة تعتبر من الأشياء النادرة الثمينة بالنسبة لهم..». وفي رحلتنا الثانية هذه تبدلت الصورة تماماً.. محطات قوافل الجمال، تحولت إلى محطات بنزين، وصديقهم الودود ـ الجمل ـ ترك

salem bin ham.indd 88 3/7/19 2:38 PM

مكانـه للشـاحنات، وللرافعـات الضخمـة، وللسـيارات المكيفـة.. وأمـواج الرمـال، التـي كانـت تفصـل بـين أبوظبـي والعـين، انشـقت ليمتـد بينهـا طريـق بـري واسـع طولـه 160 كيلومتـراً.. في رحلتنـا الأولـى نمنـا في الخـلاء فـوق أسـرّة مصنوعـة مـن حبـل النخيـل، وُضعـت أرجلهـا الخشـبية في علـب بهـا مـاء، خوفـاً مـن العقـارب، أمـا اليـوم فقـد نمنـا في فنـدق فخـم مكيَّـف الهـواء.. إن قيـام مثـل هـذا الفنـدق الفخـم في تلـك البقعـة القاحلـة كان تحديـاً صارخـاً للتأخـر.. إنـه جـزء مـن التطـور الـذي عـمَّ كل أجـزاء المنطقـة، فقـد انطلقـت حكومـة إمـارة أبوظبـي تبنـي وتعمـر بأقصـى سـرعة، في محاولـة لتبديـل صـور الماضـي القـديم، وبحثـاً عـن حجـم جديـد للإمـارة.. ولـم تكـن المسـيرة سـهلة.. وكان نصيـب مدينـة العين من الازدهـار هـو نصيـب الأسـد.. إنهـا بـلاد الأصالـة «الظبيانيـة».

يقـول سـالم بن حـم: لا يسـتطيع أحـد أن يحصـي مواقـف الشـيخ زايـد الحكيمـة والرائـدة منـذ توليـه حكـم الإمـارات.. مواقـف المؤسـس والبانـي جميعهـا تجسِّـد وبصـدق مـا يتحلَّـى بـه هـذا القائـد الملهـم مـن ذكاء فطـري.. وحكمـة بالغـة.. وبُعـد نظـر.. إضافـة إلـى عشـقه الكبير لشـعبه.. وإخلاصـه اللامحدود لوطنـه.. ورغبتـه الجارفـة في الإصـلاح والبنـاء، خاصـة في بنـاء الإنسـان باعتبـاره الثـروة الحقيقيـة للوطـن، وفي هـذا كلـه كان

salem bin ham.indd 89 3/7/19 2:38 PM

الشيخ زايد بالنسبة لي كما كان لكل المقربين منه «مدرسة كبرى» بل منهل الحياة الذي لا ينضب أبداً، نستقي منه في كل يوم المواقف والعبر والمعارف والإدراك الصحيح لكل مفردات ومعطيات الحياة التي نعايشها، ولم لا وهو الذي أولى العلم اهتماماً خاصاً ليستفيد منه الجميع.. يقيناً وإيماناً منه بأن «العلم بصر ونور يهدي الإنسان إلى الطريق السوي ويقود الأمم إلى العز والمجد».

لقد كانت نظرته إلى الأشياء ثاقبة وبعيدة المدى.. كان دائماً يهتم بالمستقبل وبنائه وينظر إليه بعين ورؤية تختلف عمَّن سواه.. كان يخطُّ بعصاه على الرمل موقع الجامعة التي ستحتضن أفواج الطلبة القادمين من المدارس.. وشبكة الطرق التي ستربط بين أطراف المدينة لتسهيل وتنشيط حركة المواصلات، وغيرها من الآفاق والطموحات التي لا تقف أبداً عند حد، وسبحان الله كانت أموره ميسرة دائماً، حيث كنا نرى طموحاته وتطلعاته تتحقق أمام أعيننا بفضل الله عزل وجل، كنا نرى هذه الطموحات في تلك الفترة ذات الحياة والظروف القاسية بشكل عام، ضرباً من الخيال والمستحيل، لكن والحمد لله أصبح هذا المستحيل واقعاً ملموساً على يد الشيخ زايد طب الله ثراه .

salem bin ham.indd 90 3/7/19 2:38 PM

ويتذكر بن حم واقعة من الوقائع والحكايات اليومية الكثيرة التي عاشها وعاصرها مع الشيخ زايد فيسردها قائلاً: في إحدى المرات التي كان يخرج فيها في سيارته لتفقد أحوال مدينة العين، وكنت أجلس بجواره في إحدى مناطقها المزروعة بالنخيل والأشجار، فوجئ بعدد من الجمال تأكل في هذه المزروعات، فغضب لذلك كثيراً، وبدأ في نهر الجمال وطردها من المكان حتى يوقفها عن أكل الزرع الأخضر، فما كان مني إلا أن قلت له: «سلمنا يا زايد من دعاء صاحب الجمال فهو الحين يدعي علينا ويقول: والله لأخبر الشيخ زايد عليكم، فما كان من صاحب الحكمة والخبرة الكبيرتين إلا أن استمع لكلامي، وقال لي: نحن نزرع لهم يا سالم، ونحسن من شوارعهم وهم لا يهتمون حتى بجمالهم ويتركونها طليقة، تخرب ما نقوم به من خير يعمهم جميعاً».

ويسرد بن حم قصة الرؤية التي صدقت والتي كان يسمعها دائماً من أجداده حينما كان طفلاً صغيراً، حيث كانوا يقولون: «سيأتي زمن تطلع فيه خزائن الأرض ويقرب البعيد، ويتكلم الحديد وتشيخ العبيد»، وأيامها لم يكن بمقدور الصغير ولا حتى الكبير أن يفهم معنى هذا الكلام، لقد كان شبيهاً باللغز المحيّر؛ لأننا لم نكن نتصور أو نتخيل أن في هذه الأرض

salem bin ham.indd 91 3/7/19 2:38 PM

الرملية القاحلة الصحراوية خزائن، فكانت على سبيل المثال رحلتنا من العين إلى أبوظبي تستغرق أياماً، فكيف يمكن أن يقرب البعيد؟ وأي حديد هذا الذي سوف يتكلم؟ لكن سبحان الله الذي له خزائن السماوات والأرض، فقد حلت كل هذه الأمور، وأصبحت فعلاً حقيقة واقعة، نلمسها بأيدينا، ونراها بأعيننا، حتى إننا كنا نحسبها في الزمان السالف ألغازاً نتندر بها، بل أحلاماً ومستحيلات، لكنها تحققت على يد الشيخ زايد، فتحت فعلاً خزائن الأرض، لتخرج ذهبها الأسود (البترول) ويتكلم الحديد ويقرب البعيد.

ويضيف سالم بن حم: لقد حققت دولة الإمارات بفضل القيادة الحكيمة الواعية إنجازات حضارية هائلة في مختلف المجالات خلال فترة زمنية قياسية أشبه بالمعجزات، ولعل المتتبع مراحل تلك المسيرة التنموية الرائدة التي قادها فقيد الوطن والأُمة.. يرى بوضوح مدى الجهد الكبير والإخلاص والوفاء والتفاني الذي بذله المغفور له بإذن الله الشيخ زايد والذي جسد حلم أبناء الإمارات في حقيقة واقعية بعد أن حقق لأبناء شعبه ووطنه أنجح تجربة وحدوية في القرن العشرين، صارت بمرور الوقت مبعث فخر واعتزاز واحترام العالم بأسره، ووضعت دولة الإمارات في طليعة الدول التي

salem bin ham.indd 92 3/7/19 2:38 PM

حققت إنجازات حضارية هائلة فاقت كل التوقعات.

يقول بن حم: لقد وضع زايد نُصبَ عينيه ومنذ البداية تحقيق رفاهية ورخاء المواطن وجعلها تتصدر كل الأولويات، وسعى بدأب، وتابع عن كثب خطط وبرامج التنمية والمشروعات الكبرى التي وفَّرت لأبنائه المواطنين مستوى متطوراً وراقياً من الحياة المعيشية الحديثة التي تقوم على مرافق خدمية متقدمة، وخدمات صحية وعلاجية تضاهي أرقى المستويات، ومدارس ومؤسسات تعليمية، وجامعات تُدَرِّس لأبناء الوطن المناهج المتطورة وتزوِّدهم بأحدث العلوم والمعارف في شتى المجالات. ولا شك أن الأمانة والصدق والعمل بجد واجتهاد وإخلاص تمثل مفاتيح النجاح في الحياة، ومع هذا التطور المذهل والتغيرات السريعة المتلاحقة التي باتت تحكم هذا الزمان لا بدّ للإنسان أن يكون مطلعاً على المستجدات.. ومواكباً للتطورات.. ومتحلياً قدر المستطاع بالعلم والعقل والذكاء والصبر حتى يستطيع أن يواجهها ويتكيف معها.

وبحكم رفقتنا الطويلة للمغفور له الشيخ زايد ومعايشتنا العديد من الأحوال والأحداث التي مرت بها المنطقة.. كانت الإرادة أهم عناصر القوة الفاعلة في مسيرة النجاح التي قادها بكل اقتدار.. وقد يرى البعض أن أهم عامل في هذا الازدهار

salem bin ham.indd 93 3/7/19 2:38 PM

الكبير لدولة الإمارات إنما هو راجع إلى ثروة البترول التي أنعم الله بها علينا، لكن من جانبي أقول: إن أهم عامل هو ثروة العقل التي وهبها الله لزايد، فعقل زايد هو المفتاح الأساس الذي فتح به بقية الخزائن والثروات الأخرى من بترول وغيره، وقد اقترن بثروة العقل عند الشيخ زايد حبه الكبير واللامتناه لكل فرد من أفراد شعبه، وغيرته الشديدة على وطنه.. ومن هنا تنبع حكمة زايد، فذات يوم كنت إلى جانبه وإذا بأحد الصحفيين الأجانب يسأله: «يا صاحب السمو، يقول البعض: إنكم صرفتم الأموال الطائلة في زراعة الصحراء القاحلة، فما الغاية من وراء ذلك؟ ألا ترون أن ذلك يُعدُّ إهداراً للثروة؟ وبصدقه، وتلقائيته المعهودة رد الشيخ زايد عليه قائلاً: سوف أجيبك عن طريق السؤال التالي: ألا تعتبر أن الأرض مثل الأم؟ فأجاب الصحفي: «نعم يا صاحب السمو».. إن أي إنسان واعٍ ومدرك ومحب لوطنه يعتبر أرض وطنه مثل الأم تماماً، فقال الشيخ زايد: «إذن نحن متفقون أن الأرض فعلًا مثل الأم ولذلك فإن الأم التي أنجبتني وأعطتني من خيراتها حتى ترعرعتُ وكبرتُ ووجدتُ نفسي غنياً من خيراتها، حينما أنظر من حولي وأراها عارية ولا كساء عليها أليس من واجبي أن ألبسها كساء يليق بمقام الأم؟».. فبهت

salem bin ham.indd 94 3/7/19 2:38 PM

الصحفي وكل من كان حاضراً من حكمة زايد.. إجابة في منتهى الصدق والإقناع.. ذلك هو زايد الذي عرفناه برؤيته الثاقبة وحبه وغيرته على شعبه ووطنه.

يقول بن حم: عندما حكم زايد استراح الناس، وشعرنا بالأمان الذي بعثه بين جميع القبائل التي عدل زايد أمورها بالعدل.. وأصبحنا نعيش بروح الأُسرة الواحدة، فالعدالة تسود الجميع وزايد هو أب الجميع يستقبلنا ويجلس معنا تحت ظلال شجرة خارج قصر المويجعي.. ومنذ توليه مقاليد الحكم أعلن عن تسخير الثروات من أجل بناء وتقدم الوطن.. ورفع مستوى معيشة شعبه.

ويرجع بن حم بالذاكرة إلى عام 1974 أثناء انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الثاني في مدينة لاهور الباكستانية قائلاً: كان الشيخ زايد يترأس وفد الدولة وأثناء جلوسنا في إحدى زوايا ردهات المؤتمر تقدم صحفي بريطاني واقترب من الشيخ زايد محاولاً الوصول إليه لإجراء حديث معه وبينما حاول الحرس منعه من ذلك، شاهد الشيخ زايد هذا الموقف وطلب من الحرس السماح للصحفي بالاقتراب وأمره بالجلوس بجواره مستفسراً عن رغبته وحاجته إلا أن الصحفي بادره بسؤال قائلاً: معروف عن سموكم ترفيه أبناء

salem bin ham.indd 95 3/7/19 2:38 PM

الشعب بعطائك السخي.. توفر لهم الخدمات والسكن الفاخر والرعاية الصحية والتعليم مجاناً من دون أي مقابل حتى ولو رمزي.. فما هو رد سموكم؟ على الفور وجه الشيخ زايد سؤالاً للصحفي: هل أنت متزوج؟ وهل لديك أطفال؟.. وهل تتكفل بعلاج وتعليم أبنائك وتوفر لهم الخدمات الضرورية؟. فأجابه بنعم.. وهنا اقترب الشيخ زايد منه قليلاً وكأنه يهمس في أذنه قائلاً: إن شعب الإمارات هم جميعاً أبنائي.. وأنا الأب المسؤول عن توفير كل احتياجاتهم ومستلزماتهم الضرورية مثلما توفر أنت حاجات أبنائك.

وبهذا الخصوص يذكر بن حم.. أقوال وأحاديث زايد التي كان يكررها على مسامعهم دائماً: إن الرئيس إذا لم يرع شعبه وأبناء دولته فإنه لا يستفيد ولا يفيد.. ولا يكون عندهم إحساس أن وراءهم راعياً يهتم بهم ويرعاهم.. الرئيس كالوالد تماماً فمثل ما يهتم الوالد الحنون بتربية أبنائه ورعايتهم انطلاقاً من واجبه تجاههم فإن على الرئيس أن يرعى كذلك أبناء شعبه ويهتم بهم ويعرف عنهم كل شيء بدقة.. التربية والرعاية سواء أكانت من الرئيس أو الوالد واجبة وبعد ذلك التوفيق من الله.

إن أولويات زايد كانت إقامة المدارس والمساكن.. وتوفير

salem bin ham.indd 96 3/7/19 2:38 PM

الخدمات الطبية.. وإنشاء المطارات والموانئ.. وشق الطرقات وبناء الجسور.. وغدت الإمارات التي كانت في أحضان الرمال قبل أن يأتي زايد أكبر ورشة عمل في كل اتجاه.. وأصبح هدير الآلات في كل مكان.. وانتقل آلاف الأهالي من منازل العريش والطين إلى البيوت الصحية النظيفة.. وامتدت الطرق الحديثة فوق رمال الصحراء.. ودخلت المياه العذبة والكهرباء إلى كل بيت.. وانتقل التعليم من نظام الكتاتيب إلى المدارس العصرية وانتشرت المدارس على اختلاف مراحلها في كل بقعة من البلاد.. وفتحت عشرات الفصول الجديدة لمحو أمية من فاتهم قطار التعليم.. وبدأت العيادات في تقديم خدماتها الطبية للبدو في الصحراء بعد أن حرموا من الرعاية الصحية طويلاً.. ونجحت المسيرة في تعويض قرون من التخلف والجمود.

إن ذكريات بن حم.. خزين ماضٍ وحاضر.. إنه شاهد عصر.. العصر الذي كان بكل صفحاته سِجلّ تاريخ.. صنع الشيخ زايد صفحاته المشرقة.. الصفحات التي شكلت التحول في حياة سالم بن حم.. لقد حرص الشيخ زايد على رعاية أبنائه المواطنين وارتبط بهم وعمل على متابعة أحوالهم حتى يكاد يلم بظروف كل مواطن، وأحوال كل منطقة في أرجاء

salem bin ham.indd 97 3/7/19 2:38 PM

الوطن.. وأصبح أطفال الدولة كلهم يقولون: أبونا زايد. كل عرق فيهم ينبض بحبه.. زايد يحبه الإنسان والمكان والزمان.. غرس الحب والعطاء فحصد العرفان والوفاء من الجميع.

ويقول بن حم: لقد عاش زايد حتى أيامه الأخيرة على عهده بالعين وأهلها، يزورها، ويعاودها، يتجول في مناطقها، ويتفقد ويشاهد على الطبيعة مشاريعها التنموية.. ويوجه بإقامة المزيد منها، تجسيداً لحرصه على توفير أكبر قدر ممكن من الرخاء والرفاهية للمواطنين ولإضفاء مزيد من عناصر الجذب السياحي واللمسات الجمالية على هذه المدينة الجميلة.. مدينة الخضرة والجمال والمعالم الحضارية والتاريخية.. كان يسير على قدميه في وهج الصيف اللاهب وفي مواقع غزيرة الرمال يتابع سير العمل في المشروعات ليصنع من الصحراء جنة.. كان يتابع كل صغيرة وكبيرة ولا يترك أمراً إلا بتَّ فيه وفي جعبته حلٌّ لكل معضلة.

يذكر بن حم: أنه عندما طالت يد التعمير جزيرة صير بني ياس تذمَّر العمال من طبيعة الجزيرة وكثرة انتشار الزواحف بها وتوقفوا عن العمل خوفاً من الزواحف ولبعدها عن المستشفيات، وعندما وصل الخبر للشيخ زايد أمر بصرف مكافآت تشجيعية لهم، فتحول إضرابهم عن العمل

salem bin ham.indd 98 3/7/19 2:38 PM

إلى عزيمة وإصرار من أجل الإمساك بالزواحف الموجودة وتنظيف الجزيرة منها، لدرجة أن العمال تركوا أعمالهم وهبُّوا لتنظيف الجزيرة.

ويقول: كانت أبوظبي والعين وكل شبر في الإمارات يستأثر بجلِّ اهتمام الشيخ زايد رحمه الله إنه خدم الإمارات بإخلاصٍ وتفانٍ.. وعزيمة وإرادة.. ورؤى ثاقبة صنعت مسيرة ناهضة لا تعرف المستحيل.. يصعب كثيراً على أبناء جيل اليوم أن يتخيلوا ماضينا الذي عشناه، ويقدروا الظروف والأحوال التي كان يعيشها الآباء والأجداد بكل جلد وصبر مقارنة بما نعيشه اليوم من أمن ويسر في العيش.. علينا اليوم ألا نترك الصور والمشاهد تغيب عن أذهاننا وأذهان أبنائنا؛ لأنه بالتذكير والمقارنة ندرك أهمية المحافظة على المكتسبات التي نجنيها وننعم بها اليوم.. إنه حب الانتماء لهذا الوطن المعطاء.. قبل زايد لم تكن هناك ثروة.. ولكن ثروة زايد كانت في أعماله وخدماته.. هو الثروة الحقيقية.. والله بارك في أعماله فنجحت وعمت خيراتها القريب والبعيد.. وسيخلد التاريخ اسم زايد ومحبته ستبقى في قلوبنا للأبد.. إنه لم يُنشئ وطناً من بناءٍ وحجر.. وإنما أنشأ شعباً وتاريخاً.

إن «بناء الأوطان يحتاج إلى بناء العقول أولاً».. هكذا

salem bin ham.indd 99 3/7/19 2:38 PM

كان يقول الشيخ زايد دائماً.. لقد جعل التعليم حجراً أساسياً في عملية التقدم.. وكلما أتيحت فرص التعليم أكثر كان تقدّم ورقي الدولة يزداد ارتقاء ونماء.. العلم هو سلاح يمكننا من قهر الجهل والفقر والمرض وتحديات الحاضر والمستقبل.. إنه نور يهدي إلى سبيل الرشاد.. لذلك قدم زايد عطاءاته السخية للعلم ورجالاته.. شجّع الأبناء على إدامة تلقي العلم والثقافة بميادينها الواسعة لمجابهة متطلبات الحياة ومستجداتها.

وحين نستقرئ الماضي نجد أن الشيخ زايد قد اهتم ببناء العقول منذ أن كان ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية لإمارة أبوظبي.. وبهذا الخصوص نقتبس ما كتبته مجلة العربي الكويتية عن مدينة العين في عددها لشهر ديسمبر عام 1974.. وتحت عنوان: تعليم مجاني ومرتب شهري!.. كتبت تقول: «وأهم المساعدات التي تقدّم للمواطنين هي: التعليم.. فكل طفل يتلقى تعليمه مجاناً، من رياض الأطفال حتى انتهاء بعثته الجامعية في الخارج!! ويتلقى خلال تعلمه إعانة مالية شهرية... وقد زيدت أخيراً بمقدار 25% تشجيعاً لطلبة المدارس والمعاهد والمعلمين والمعلمات.. وفي كل مدرسة يتناول الطلبة وجبة إفطار، وتصرف لهم الملابس المدرسية، وتأخذ كل طالبة فستانين أو تنورتين وقميصين وحذاء، والمواصلات

salem bin ham.indd 100 3/7/19 2:38 PM

مؤمَّنة من المنزل إلى المدرسة وبالعكس.. منذ 12 سنة كان عدد التلاميذ 60 تلميذاً يتعلمون في مدرسة ابتدائية واحدة.. ولم تكن هناك مدرسة للبنات، أما اليوم فقد قفز العدد إلى 7560 طالباً، يتعلمون في 28 مدرسة منها 10 للبنات».

وجاء في الكتاب المعنون: البدو والثروة والتغيير.. تأليف رايز كوردس وفريد شولز.. وهو يتناول التعليم في أبوظبي مطالع السبعينيات: «وتعطي حكومة أبوظبي التعليم أولوية عليا وتشكل اعتمادات الميزانية لأغراض التعليم أكبر مبلغ من بين المخصصات المعتمدة لميزانية الدولة».. ونعود إلى مجلة العربي حيث قامت باستطلاع عن أبوظبي عام 1976 نشرته في عددها لشهر سبتمبر من العام نفسه: «وأصبحت أبوظبي اليوم عنواناً للازدهار من خلال سعيها الحثيث إلى النهوض والنمو، لتأخذ مكانها بين الأُمم الآخذة بأسباب الحضارة..».

يقول سالم بن حم: إن الشيخ زايد كان يردد أمامي «ما لم يتم إنجازه اليوم يمكن تحقيقه غداً.. علينا بالصبر والمثابرة، والإنسان هو الثروة الأولى، فعلينا بناء الإنسان، وتعليمه، والعناية بالشباب، والتطلع إلى ما يخدم مستقبلهم في كل النواحي».. كان يقول دائماً: «من تأنَّى نال ما تمنَّى».

كان الشيخ زايد يحب أن يرى كل الناس سعداء..

salem bin ham.indd 101 3/7/19 2:38 PM

وسعادته تكمن في أن يرى كل فرد في المجتمع له شغل منه يفيد ويستفيد.. وفي هذا الصدد يقول: «إن تفكيرنا الدائم في الماضي وعظاته.. وتفكيرنا في الحاضر وآماله.. وتفكيرنا في المستقبل وتطلعاته المشرقة.. هو الذي سيقودنا دائماً إلى بناء وطننا وتقدمه ونهضته».

ولنتأمل اهتمام زايد بالتراث.. إنه لفتة واعية للتاريخ حتى نستخلص منه ما هو مفيد للحاضر والمستقبل.. وبناء الذات الواعية المعتزة بأصالتها.. ومن هنا فإن الشيخ زايد لم يترك مجالاً تراثياً إلَّا وأحياه وشجع على ممارسته.. إنه يهدف بالأساس إلى جعل الناشئة على دراية واعتزاز بعادات وتراث الأجداد بكل ما فيه من قيم ومثل عليا.. لقد حرص على أن يجعل لمن يهوى البحر هواية يمارسها كالتجديف مثلاً.. وكذلك فعل مع البدوي إذ شجعه على ممارسة رياضة سباقات الهجن وركوب الخيل والرماية والصيد.. اهتم بشتى ما عرف عند العرب منذ قديم الزمن من رياضة متوارثة مفيدة وقدّم لها الدعم المادي والمعنوي.. كما اهتم بالألعاب الشعبية وشجعها بكل ما تستلزمه من الرعاية.. والمشاركة في إحيائها في بعض المناسبات.. وكان الشيخ زايد كثير الاهتمام بالفروسية وسباقات الخيول العربية الأصيلة وسباقات الهجن

salem bin ham.indd 102 3/7/19 2:38 PM

ويدعو إلى تنظيمها بشكلٍ دوري.. واهتمامه بالخيول العربية الأصيلة جعله يشترط على المتقدم للسباقات أن يدلي بشهادة تثبت أن جواده المشارك هو عربي أصيل.. كما خصّ الجمال بعنايته الفائقة وإقامة العديد من السباقات الخاصة بها والتي تعرف بـ«سباقات الهجن».. أما الرياضة التراثية الأخرى التي أخذت الاهتمام الأكبر في هوايات الشيخ زايد فهي رياضة الصيد بالصقور.. ومن مزاياها كما يراها الشيخ زايد: أن تعوِّد الإنسان على الصبر والجلد والموازنة بين معايشة البرِّ وحياة المدن.. وهذا من شأنه أن يغذي الإنسان بطاقة بديلة تعطيه دافعاً كبيراً لاستيعاب العمل وما يتضمنه من واجبات.. كما أن رحلات القنص فرصة حقيقية لاختبار معادن الرجال وطباعهم.. وتمكن الإنسان من التحلي بخصال طيبة هي من آداب الصيد بالصقور مثل عدم صيد الحيوان الذي يلجأ للإنسان من شدة العطش أو الجوع.. وكذلك الصيد لا يكون إلا بعد مطاردة الفريسة.. هذا إلى جانب روح الألفة والانسجام بين أفراد المجموعة حينما يقومون بإهداء لحم الصيد لبعضهم البعض.. ويقول بن حم: ولا يكاد يمر موسم شتوي إلا وكنا نخرج مع زايد كنا نمتطي الجمال ثم بعد ذلك صرنا نركب السيارات للذهاب في مسافات طويلة للقنص.

salem bin ham.indd 103 3/7/19 2:38 PM

«كان زايد قناصاً بارعاً يهوى الصيد بالصقور ويحب ركوب الإبل والخيل ويسافر مع رفاقه للصيد والقنص في رحلة تمتد بين عشرة وعشرين يوماً، ثم يعودون إلى أبوظبي أو العين.. معظم فصل الشتاء يمضيه زايد في القنص، وأحب الصقور إليه «الحر والشاهين»، أما الحر فهو أقدر في القنص من الشاهين إذ يصيد من 5 إلى 7 «طرائد» «أما الشاهين فهو الأسرع».. كذلك كان زايد مولعاً بركوب الخيل وحتى في شهر رمضان كان يركب الخيل ويذهب إلى القنص وهو صائم، وكان يهتم ويحب سماع سيرة الأجداد وبطولاتهم التاريخية في الذود عن محارمهم وأوطانهم ضد كل معتدٍ، وزايد كان شغوفاً بمعرفة تاريخ المنطقة والأجداد والقبائل المتأصلة بها.. ومجالسة كبار السن للاستماع إلى تجاربهم في الحياة.

لقد اهتم الشيخ زايد بالإنسان والنبات والحيوان.. وما المحمية الطبيعية بجزيرة «صير بني ياس» إلا أكبر دليل على اهتمامه بالحفاظ على شتى أنواع الحيوانات وخاصة تلك النادرة ولقد خصص لها أناساً يشرفون عليها وأقام لها المساحات الشاسعة المسيجة وكل مرافق العيش الآمن.. حتى تكاثرت وازدادت أعدادها.

لقد حظي التراث بكل مفرداته باهتمام ورعاية الشيخ

salem bin ham.indd 104 3/7/19 2:38 PM

زايد.. لم ينس أهمية الشعر فحافظ على قول الشعر وكرّم الشعراء وخصّص لهم المجالس الشعرية وصرف لهم المعاشات والمكافآت السخية.. وفي ذلك حفاظ على هذا التراث الأدبي الذي تميزت به حضارة العرب منذ زمن بعيد وأقامت له المجالس والأسواق الخاصَّة به.. والشيخ زايد هو نفسه يقرض الشعر ولقد كتب العديد من القصائد الغنية بالحكمة والتوجيه والنصح والتي تعكس ما تنطوي عليه شخصيته الفذة من قيم ومُثُلٍ عليا.

ويقول سالم بن حم عن الصداقة القوية التي كانت تربطه بالشيخ زايد: «لم تكن بيننا أي أسرار طوال السنوات التي عشناها معاً.. ما في شيء بيننا خافٍ.. كانت الصراحة دائماً طريقنا وأسلوب حديثنا.. كل واحد يخبر الثاني عما في خاطره دون أي حرج.. وهذا معروف للجميع، وهذا هو أساس الصداقة القوية.. وهذا أيضاً ما جعلني خبيراً بحاله.. أعرفه من كلامه إذا كان شيء في خاطره.. فرحان أم زعلان.. مجرد ما أشوفه وأكلمه أعرفه».. ويضيف بن حم قائلاً: زايد لم يزرع الصحراء فحسب بل زرع فينا القيم والفضائل والمكارم.. غرس الحب والعطاء فحصد العرفان والوفاء.. بكاه البشر والشجر.. وتاقت إليه كل حبة رمل خطت عليها قدمه.

salem bin ham.indd 105 3/7/19 2:38 PM

كان المكان يتيم المعالم موحش القسمات.. صحراء شاسعة ذات تلال وكثبان خادعة كسرابها.. كانت شمس الصحراء هي الشيء الوحيد تقريباً الذي يشعر الإنسان بالتغيير عندما تطل بسرعة من الشرق وترحل بطيئة كغلي المرجل ثم تتوارى بعد يوم سحيق بالحر والعرق. يقول بن حم: كان الوقت عصيباً والزمن جار علينا والمرحلة عنوانها الشدة لم يغيرها إلا زعامة زايد لنا ومعدن الرجال يظهر عند الشدائد.. ما بين الميلاد والموت.. رحلة عطاء طويلة.. قطعها زايد بنى خلالها آمالاً كبيرة بينه وبين نفسه والآمال الكبيرة تبدأ بأحلام صغيرة.. لقد كان يحلم ببناء مجتمع جديد تختفي منه تلك المعاناة.. مجتمع فيه المدرسة.. العيادة.. السكن النظيف.. ومضة الكهرباء والماء النقي.. كان يتأمل أبناء البدو والمزارعين والصيادين ويتخيل بينهم الطبيب والمدرّس والمهندس والضابط.. كان زايد يرسم في ذهنه مجتمعاً تضيئه شمس الحضارة وتغمره الرفاهية حتى قبل أن يتدفق النفط من جوف الأرض في أبوظبي.. وكان يحلم بجيل ينهل من العلم حتى الارتواء. ويسترجع بن حم ذكرياته مع الشيخ زايد قائلاً: كان كثيراً ما يقف وليس من حوله شيء ثم يقول لنا كلمات كانت غريبة علينا في ذلك الوقت فقد كان يملك في

salem bin ham.indd 106 3/7/19 2:38 PM

فكره وصدره أعظم شيء كان فكره يعرف الطريق الصحيح وصدره يحتضن آمال أُمته ثم ما نلبث بعد زمن طال أو قصر أن نرى الكلام الغريب حقائق شاخصة أمام عيوننا.

وبهذا الخصوص يتذكر خمسينيات القرن الماضي عندما كان الأهالي يحتفظون بأموالهم في المنازل داخل قطعة من القماش حيث لا وجود للبنوك في تلك الفترة إلا أن الشيخ زايد قال له: «يا سالم سيأتي وقت نقودك لا تحملها معك في حلك وترحالك بل ستجدها أمامك.. ذهب بي خيالي في ذلك الوقت أن هذا الأمر صعب إن لم يكن مستحيلاً.. ومع مرور الأيام صدق كلام زايد لأنه كان يرى ما لا يراه الآخرون وتحقق كلامه حيث انتشرت البنوك في الدولة، وتعددت أنواع معاملاتها».

لقد صنع الشيخ زايد «طيَّب اللّه ثراه» تاريخاً مضيئاً يجب أن نعرف صفحاته ونديم إعادة قراءته لأنه شخصيتنا وثبات وحدتنا.. قصة مجد صنعه رجل فذ استطاع أن يجعل هذا الكيان أسطورة عمل فريد ووحدة رائدة.. ويقول بن حم: ربما يكون أهم جانب في شخصية هذا الرجل الفريد هو بساطته وتواضعه الشديدان وهما خصلتان استلهم منهما أسلوبه في إدارة شؤون الحكم وتمثل هذا التواضع في أنه لم

salem bin ham.indd 107 3/7/19 2:38 PM

يكـن يدعـي عصمـة مـن الخطـأ ولا تكبـراً وترفعـاً يبعـده عـن رعيتـه.. نعجـز عـن وصـف تواضـع الشـيخ زايد طيـب اللّه ثـراه كان يقـود سـيارته في شـوارع وطرقـات العـين بنفسـه ولـم يكـن يرافقـه أي حـراس أو سـيارات حراسـة وعندمـا يرانـا يوقفهـا ويترجل للسـلام علينـا ويأمرنـا أن نركب معه ويطلب منـا إمـا إن يأخذنـا لوجهتنـا أو إذا كان لدينـا وقت يطلب منـا الذهـاب معه للقصـر مـن أجـل الحديـث عـن أحـوال المواطنـين والبلـد ويصـر علـى أن نتنـاول طعـام الغـداء أو العشـاء معـه.. كان يهتـم كثيـراً بمعرفـة أحـوال الأهالـي وأوضاعهـم ويصـر في جولاتـه التفقديـة أن يسـير أمـام المنـازل الشـعبية وفي أوقـات مختلفـة حتـى يـرى بـأُم عينـه الأوضـاع المعيشـية للشـعب وكان يلتقـي بـكل مـن يراهـم أمـام منازلهـم ويتحـدث معهـم ويسـتمع لطلباتهـم بـدون تذمـر أو تململ ويأمـر بتنفيذهـا.

لقـد سـخّر زايـد حياتـه لتأمـين الاسـتقرار والرخـاء لشـعبه دون كلـل أو ملـل. كانـت العـين والمناطـق التابعـة لهـا عبـارة عـن صحـراء قاحلـة وأرض جـرداء إلا أنهـا شـهدت ثـورة خضـراء ونهضـة حضاريـة هائلـة بفضـل الاهتمـام والرعايـة الكبيـرة التـي أولاهـا فقيـد الوطـن والأُمـة الشـيخ زايـد طيَّـب اللّه ثـراه لمشـاريع تطويـر العـين منـذ أن عـين حاكمـاً عليهـا عـام 1946، بعـد أن

salem bin ham.indd 108 3/7/19 2:38 PM

أحضر المعدات والآلات اللازمة واستقدم المهندسين والفنيين المهرة وبدأت على يديه ملحمة خضراء ستظل درساً ومعجزة في هذا المجال.

عندما حكم وترأس الاتحاد كبرت المسؤوليات وعمل على ترسيخ هذا الأمر من خلال الجولات التي يقوم بها في مختلف مناطق وإمارات الدولة.. ومثّلت حدثاً وطنيّاً يحتل مكانة متميزة في قلوب ونفوس أبناء شعبه وصيغة فريدة في الحوار وضعها مع بدايات حكمه لتكون سمة حضارية وعلامة مميزة لمسيرة التنمية.. ويهدف من هذه الجولات، التعايش عن قرب مع المواطنين وعلى الطبيعة حيث يقيمون ويتلمس نبض المواطن واهتماماته واحتياجاته وحينها يشعر المواطن بقدرته على الحديث مع قيادته على نحوٍ مباشر ودون حواجز ومسافات في مشهد يعبّر عن عمق الارتباط بينه وبين المواطنين من ناحية وما حققته المسيرة من قوة وترابط وتكافل وأمن وأمان من ناحية أخرى.

ويقول سالم بن حم: بالرغم من أن المواطن يستطيع أن يشارك ويصل بصوته ومطلبه عبر مؤسسات الدولة المختلفة إلا أن الجولات السنوية التي سبقت هذه المؤسسات واستمرت بعدها ستظل دوماً لها خصوصيتها لأنها أعمق بكثير من

salem bin ham.indd 109 3/7/19 2:38 PM

مجرد لقاء.. إنها حالة انصهار وتوحُّد في بوتقة سياسية كبيرة يحدد القائد من خلالها أولويات العمل الوطني ومتطلبات التنمية.. وسيظل زايد يحبه الإنسان والمكان والزمان.. لقد عاش وحتى أيامه الأخيرة على عهده بالعين وأهلها يزورها ويعاودها، ويتجول في مناطقها، ويتفقد ويشاهد على الطبيعة مشاريعها التنموية والتوجيه بإقامة المزيد من المشروعات الخدمية والتطويرية، تجسيداً لحرصه على توفير أكبر قدر ممكن من الرخاء والرفاهية للمواطنين، ولإضفاء مزيد من عناصر الجذب السياحي واللمسات الجمالية على هذه المدينة.. مدينة الخضرة والجمال والمعالم الحضارية والتاريخية البارزة.

كان الشيخ زايد يسير على قدميه في وهج الصيف اللاهب وفي مواقع غزيرة الرمال يتابع سير العمل في المشروعات ليصنع من الصحراء جنة.. لقد تغيرت الأحوال كثيراً، والحمد لله لقد تطورت الحياة من حولنا، من ضنك العيش إلى الخير والنعمة والسعة، والفضل كل الفضل يرجع إلى المولى عزوجل الذي منَّ علينا بفضلها بزايد الخير، فمنذ أن عرفناه كان اسمه مطابقاً تماماً لأفعاله، فما من يوم مر علينا إلا وازداد فيه الخير والبركة، لكل الناس.

salem bin ham.indd 110 3/7/19 2:38 PM

ويضيف سالم بن حم قائلاً: إن كل ما تحقق من صنع الحكمة والسياسة الرشيدة التي وهبها الله لزايد وإخوانه الشيوخ أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد حكام الإمارات وكل البطانة الصالحة المحبة لوطننا الغالي.. منذ أن بدأ عهده أيقن أبناء وطنه وأمته، أنهم إزاء حاكم استثنائي تلخصت فيه كل معاني الإنسانية، وهي معانٍ صارت أساساً راسخاً لمسيرته الطويلة.. وكان فقيد الوطن بحق نصيراً للإنسانية، وتعدت إنسانيته الإمارات التي غمرها حباً وعطاءً لتصل إلى شتى بقاع الدنيا، ونقش اسمه بأحرف من نور ليس في التاريخ فحسب، ولكن في قلوب البسطاء والمحتاجين الذين مدَّ إليهم يد العون والمساعدة فأقام لهم دور العبادة والمستشفيات والمؤسسات الخيرية، فتبدَّلت حياتهم من معاناة وكرب إلى هناء وعز.. ولا بدّ أن نعترف أنه من الصعب علينا أن نسطر كل ما يجيش في صدورنا وصدور كلِّ المحبين لزايد الخير. للرجل تاريخ حافل بأسطر نيرة ومضيئة ومسيرة عطاء تمتد آثارها ومعالمها على طول وعرض وساحة الوطن العربي وبلدان إسلامية كثيرة.. وله في وطنه ثمار جهد وتعب متواصل حققت نهضة عملاقة يتباهى بها أبناء الإمارات والأُمة معاً.

salem bin ham.indd 111 3/7/19 2:38 PM

salem bin ham.indd 112 3/7/19 2:38 PM

الصور : وثائق

salem bin ham.indd 113 3/10/19 2:12 PM

salem bin ham.indd 114 3/7/19 2:38 PM

الشيخ سلطان بن زايد والشيخ محمد بن زايد والشيخ طحنون بن
محمد حفظهم الله والشيخ سالم بن حم رحمه الله

salem bin ham.indd 115 3/7/19 2:38 PM

salem bin ham.indd 116 3/7/19 2:38 PM

الشيخ زايد والشيخ راشد بن سعيد والشيخ سالم بن حم رحمهم الله

salem bin ham.indd 117 3/7/19 2:38 PM

salem bin ham.indd 118 3/7/19 2:38 PM

الشيخ زايد وسالم بن حم رحمهما الله
أثناء احدى الزيارات التفقدية لجزيرة دلما - 1980 م

salem bin ham.indd 119 3/7/19 2:38 PM

salem bin ham.indd 120 3/7/19 2:38 PM

الشيخ زايد والشيخ طحنون بن سعيد بن شخبوط والشيخ سالم بن حم
وعبدالجليل الفهيم رحمهم الله

salem bin ham.indd 121 3/7/19 2:38 PM

salem bin ham.indd 122 3/7/19 2:38 PM

الشيخ زايد رحمه الله أثناء محادثة جانبية مع الشيخ سالم بن حم
رحمه الله في الأمسية الشعرية لمجلس الشعراء - 1987 م

salem bin ham.indd 123 3/7/19 2:38 PM

salem bin ham.indd 124 3/7/19 2:38 PM

الشيخ زايد وعلى يساره الشيخ محمد بن خليفة آل نهيان والشيخ
سالم بن حم رحمهم الله ويظهر في الصورة أحمد بن سعود الظاهري
و أحمد المسعود رحمهم الله

salem bin ham.indd 125 3/7/19 2:38 PM

salem bin ham.indd 126 3/7/19 2:38 PM

الشيخ زايد وعلى يمينه سالم بن حم رحمهما الله ويظهر في الصورة
عبدالهادي الهاجري رحمه الله

salem bin ham.indd 127 3/7/19 2:38 PM

salem bin ham.indd 128 3/7/19 2:38 PM

الفصل الثالث

الشيخ زايـد
وصفحات من الماضي

salem bin ham.indd 129 3/10/19 2:14 PM

الشيخ زايد
وصفحات من الماضي

الشيخ زايد طيب اللّه ثراه، عاش في الصحراء صباه وشبابه.. عاش سنوات التجزئة.. التخلف والفقر والجهل والمرض.. مرارة حياة.. لكن زايد كان صبوراً.. إنه رجل البادية.. صقر الصحراء الذي وُلد في مكان وظروف شبه مستحيلة زادته إيماناً وإصراراً على قهرها.. التحدي بالتحدي.. إنه مفعم بالإرادة الصلبة حتى أيقظ كما يقول كلود موريس: «مجتمعاً محلياً في العين.. ومنذ تلك اللحظة وهو مستمر في تحضير بلاده التي أيقظها من سباتها وأطلق مسيرة شعبها». وموريس هذا كان قد زار الإمارات والتقى المغفور له الشيخ زايد عام 1974.

ويذكر ويلفرد ثيسجر وهو يتحدث عن وصوله إلى المويجعي عام 1948: اقتربنا من المويجعي.. وكان الشيخ زايد يعيش في هذه القرية.. وعندما خرجنا من الكثبان الحمراء

salem bin ham.indd 130 3/10/19 2:15 PM

إلى سهل حصوي شاهدت حصنه، وهو فناء واسع محاط بسور، يبلغ ارتفاع جدرانه الطينية عشرة أقدام.. وإلى يمين الحصن، وخلف جدار متداعٍ نصف مطمور بالانجرافات الرملية، مزرعة من أشجار النخيل المغبرَّة غير المتناسقة.. ووراء النخيل ينتصب جبل حفيت المنعزل المتموج السطح على بعد حوالي عشرة أميال وبارتفاع خمسة آلاف قدم.. كنت أتطلع إلى لقاء الشيخ زايد.. جلب أحد الحضور بسطاً لنجلس عليها، وكان الشيخ زايد جالساً على الرمل.. مكثت عند الشيخ زايد حوالي شهر.. كان الزوار يتوافدون عليه بعضهم بدو من الرمال.. راقبته وهو يستمع باهتمام لكل قضية تُطرح.. والبرهان على براعته: أحكامه.. شهرته في عدالته.

ونستقرئ أيضاً ما ذكره ثيسجر في كتابه: الرمال العربية، حيث التقى في إبريل 1948 الشيخ زايد، في المويجعي، وكتب قائلاً:

> "كان رجلاً قوي البنية جداً، يبلغ من العمر حوالي ثلاثين عاماً، وجهه ينمُّ عن الذكاء، وعيناه ثاقبتان يقظتان، شخص هادئ قادر، ذو عزيمة. كنت أتطلع إلى

salem bin ham.indd 131 3/7/19 2:38 PM

اللقاء به، فلقد كان يتمتع بشهرة واسعة بين البدو الذين أحبوه لأسلوبه السهل وغير الرسمي في معاملته لهم، ومودته، واحترموا قوة شخصيته وفطنته."

وجاء في الاستطلاع الذي قام به سليم زبال في العين مطالع الستينيات.. وهو أول صحفي زار الإمارات وكتب عنها قبل أن يتفجر البترول من تحت رمالها وبحارها.. ما نصه:

"كان الشيخ زايد شاباً عندما عين ممثلاً لأخيه في منطقة العين.. وقد أمضى الكثير من زمانه في عصر ما قبل النفط حاكماً على هذه المنطقة (1946-1966). المال كان شحيحاً.. والمشاريع كثيرة.. وطموحات زايد كبيرة.. كان في حاجة ماسة إلى المال لتحقيق أحلامه فلم يجد حرجاً في الاقتراض من تجار العين ليقيم أول مدرسة.. ويوحد القبائل.. ويحل مشاكل الحدود.. ويضاعف مساحة الأرض المزروعة بإقامة مشاريع الري وحفر وإصلاح الآبار والأفلاج.."

salem bin ham.indd 132 3/7/19 2:38 PM

يذكر سالم بن حم وهو يستذكر تلك الأيام.. فيقول: إن المغفور له الشيخ زايد أولى العلم اهتمامه البالغ وتوفيره للجميع يقيناً منه كما يقول: «العلم بصر ونور يهدي الإنسان إلى الطريق السوي ويقود الأُمم إلى العزِّ والمجدِ». وبدأ بتأسيس «المدرسة النهيانية» عام 1959 ومن ثم تبعتها مدارس أخرى كان زايد يوليها وقتاً كبيراً من اهتمامه فيزورها للاطمئنان على سير أنشطتها، ولتشجيع الطلاب وحثّهم على طلب العلم الذي يبني العقول وينيرها ويرشدها إلى الطريق السوي مذكراً إياهم في كل مرة أن مستقبل هذه المنطقة في أمس الحاجة إلى أبنائها الذين سيرفعون من شأنها متى تزودوا بسلاح العلم والمعرفة.

وجاء في الدراسة المسحية عن الإمارات التي قام بها معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

> «كذلك اهتم الشيخ زايد بإدخال التعليم في واحة العين منذ عام 1959 حينما أسس المدرسة النهيانية الابتدائية وبذلك سبق أبوظبي في إدخال التعليم إذ لم تؤسس مدارس نظامية في أبوظبي إلا منذ عام 1962..».

salem bin ham.indd 133 3/7/19 2:39 PM

كان تعليم الأولاد تقليدياً عند «المطوع» مقابل خمس بيزات تدفع كل خميس فسُميت «خميسية».. وعند ختم القرآن الكريم كان المطوع يركب حماره ويجوب «الفريج» الحي السكني مع تلاميذه يجمع الحبوب والنقود التي يجود بها الأهالي.. هكذا يصف الحال سليم زبال في استطلاعه آنذاك: كنت شاهداً.. ويكتب قائلاً:

«كان هذا حال التعليم حتى اليوم الأول من شهر نوفمبر 1960، وفيه فتحت «المدرسة النهيانية» أبوابها بتشجيع شخصي من الشيخ زايد وشقيقه الشيخ خالد، اللذين قاما بتوظيف المدرّسين بنفسيهما، وأرسلا أولادهما وأقرباءهما للالتحاق بالمدرسة. بدأت بستين تلميذاً كانوا يهرعون كل صباح بملابسهم البيضاء النظيفة، إلى الساحة الواسعة أمام المدرسة، فيؤدون تمريناتهم الرياضية اليومية، تحت أنظار ذويهم، الذين يلتفون حولهم، حاملين صقور الصيد على أذرعتهم، ولا يكتفي بعض الآباء بمجرد مشاهدة أولادهم في الساحة، بل يتوجهون إلى داخل الفصول، ويستمعون مع أبنائهم إلى الدروس التي يلقيها الأساتذة.. ولا

salem bin ham.indd 134 3/7/19 2:39 PM

يخفي هؤلاء الأساتذة دهشتهم من الذكاء الخارق لأطفال الواحة، ويَعْزُون ذلك إلى أن مفاسد المدنية الحديثة لم تصل إلى تفكيرهم بعد، والمنتظر أن يقفز عدد التلاميذ في هذا العام (1961) إلى ثلاثمئة إذا خصصت سيارة لجمع ونقل الأطفال من القرى المجاورة.. فالمدرسة تقع في قرية العين، وحضور التلاميذ سيراً على الأقدام من القرى المجاورة، ضرب من المستحيل. وقد تلقى التعليم في هذه المدرسة الشيخ خليفة بن زايد، والشيخ سلطان بن زايد، والشيخ سرور بن محمد، والكثيرون من أبناء الأسرة الحاكمة».

يقول سالم بن حم: إن أول مستشفى عرفناه هو مستشفى «كندي» الذي يسمى الآن «الواحة» ويقع في جنوب مدينة العين. حيث قرر المغفور له الشيخ زايد ضرورة فتح مستشفى في العين وقد وصل فعلاً الدكتور الأمريكي بات كندي وزوجته الدكتورة ماريان مع اثنين من المساعدين.. وبدؤوا العمل في الحال في منزل الشيخة سلامة القديم ريثما يتم بناء المستشفى الذي أطلقوا عليه اسم مستشفى الواحة،

salem bin ham.indd 135 3/7/19 2:39 PM

ولكن الناس كما يذكر سليم زبال في استطلاعه عن العين، عرفوا المستشفى باسم مستشفى كندي الذي فتح أبوابه بعد افتتاح المدرسة النهيانية بعشرين يوماً، واستقبل ألف شخص في أول شهرين، والعلاج فيه كان بالمجان سواء للإنسان أو الحيوان، إذ كان الأهالي يجلبون حيواناتهم المريضة أيضاً من صقور وأبقار ليعالجها الدكتور كندي من أمراضها أو جروحها. وكانت زوجته تتولى علاج السيدات وتولدهن.. ورغم صغر حجم المستشفى. وقلة الأجهزة والعاملين فيه، إلا أن عدد المواليد فيه بلغ 4000 مولود خلال السنوات العشر التالية لافتتاحه.. وجدير بالذكر أنه لم يكن أهل العين فقط هم الذين يعالجون فيه بل كان يأتيه المريض من داخل عُمان ومن أبوظبي نفسها.. ويقول سليم زبال: ومن سجلات المستشفى عرفنا أن الملاريا والدوسنتاريا وفقر الدم وذات الرئة هي الأمراض الأكثر انتشاراً في المنطقة.

وتأسيساً على ما تقدّم، تبرز أهمية الذاكرة التاريخية لصفحات ماضٍ حفيل بشتى الصور.. الشيخ سالم بن حم يعود بذاكرته إلى الوراء ليستعرض جانباً من ملامح الحياة ومقوماتها إبّان عقود مضت سبقت تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة في الثاني من ديسمبر عام 1971.

salem bin ham.indd 136 3/7/19 2:39 PM

يقول بن حم.. كان الاعتماد على النفس، والتحلي بالصبر والجلد والعزيمة وقوة الإرادة، من السمات العامة لأبناء بادية الإمارات في سنوات ما قبل النفط، حيث صعوبة الحياة وشظف العيش في ظل ظروف معيشية ومناخية شديدة القسوة، ويصعب كثيراً على جيل اليوم أن يتخيلوا ماضينا الذي عشناه، ويقدروا الظروف والأحوال التي كان يعيشها الآباء والأجداد بكل جلد وصبر، مقارنة بما نعيشه اليوم من أمن ورغد العيش.. تغيّرت الأحوال كثيراً من حولنا من ضنك العيش إلى الوفرة والخير والنعمة، والفضل يعود إلى الله عز وجل الذي منَّ علينا بـ«زايد الخير»، فمنذ أن عرفناه كان اسمه مطابقاً تماماً لأفعاله، وحتى لا نترك الصور والمشاهد تغيب عن أذهاننا وأذهان أبنائنا وجب التذكير؛ لأننا بالمقارنة نزيل اللبس وتتضح الأمور، فتتأكد بذلك أهمية المحافظة على المكتسبات والثمرات التي نجنيها وننعم بها اليوم، ويتأكد بذلك حب الانتماء إلى هذا الوطن المعطاء.

كان سكننا عبارة عن بيوت مصنوعة من سعف النخيل أو بيوت الشعر في الصحراء، أما بيوت أبوظبي والعين فكانت عبارة عن خيام من جريد النخيل، والميسورون من الناس والحكام الذين كانوا يسكنون بالقرب من البحر أو العين كانت

salem bin ham.indd 137 3/7/19 2:39 PM

لديهم بيوت مصنوعة من الطين، أما الآخرون فبيوتهم كانت مصنوعة من سعف النخيل، حيث يعمدون إلى شق جذع النخلة الطويلة إلى شقين، ليجعلوا منها «سند معريض» على السقف.

أما لباسنا فكان يأتي من الخارج، بعضه من الهند، والبعض الآخر من بلدان أخرى، ويُباع في أسواق أبوظبي والعين، وهذه الألبسة «الكسوة» تأتي جاهزة من الخارج، حيث لم يكن لدينا من يصنعها.

وكان الرجال يلبسون «الوزار» و«العوقدية» ويستعملون «زرابيل» مصنوعة من صوف الغنم تلبس في الرجلين لاتقاء الحرارة والبرودة. ويرتدون «الغترة»، ولا يستعملون «العقال» الذي كان يرتديه الحكام خاصة في المناسبات وعند خروجهم واستقبالهم الضيوف.

أما الأطفال فكانوا يلبسون «كناديـر»، والميسور من الناس يزيد ابنه «سفرة»، وعندما يبلغ الطفل سن الخامسة عشرة يلبس «الوزار» مع «الكندورة».

كثيرة هي المشاق التي عشناها، فقديماً لم تكن لدينا مدارس ولا مدرّسون ولا مستشفيات ولا أطباء، بل الشخص

salem bin ham.indd 138 3/7/19 2:39 PM

الوحيد الذي كان يقوم بهذه الأعمال هو إمام المسجد، فهو المدرّس الذي يعلّم الأبناء، ويحفظهم القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة، ويطلعهم على أمور دينهم ودنياهم، وهو كذلك الطبيب الذي يداوي مرضاه عن طريق قراءة القرآن الكريم، وأول مستشفى عرفناه هو مستشفى «كندي» الذي يُسمى الآن «الواحة» ويقع جنوب مدينة العين.

وبالنسبة للمواصلات.. لم تكن لدينا سيارات ولا شوارع معبدة، بل كانت وسائل النقل الخيول والجمال والحمير، ومن يعبر البحر كان يستخدم مركبه الشراعي، ولم نعرف في جيلنا من السيارات سوى أربع: الأولى عند المرحوم الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان، والثانية عند المرحوم الشيخ محمد بن خليفة آل نهيان، والثالثة عند المرحوم الشيخ هزاع بن سلطان آل نهيان، والرابعة عند المرحوم الشيخ زايد. ولم تكن هناك طرق إسفلتية معبدة، لذا كان الشيخ زايد طيب الله ثراه يأمر في بعض الأحيان بجلب أغصان الشجر، ووضعها على الطريق فوق الرمل حتى لا تتغرز السيارات في الرمل.

طعامنا كان بسيطاً، التمر وحليب النوق، فحياة البدو تعتمد على النخيل والجمال، وحياة أهل البحر تقوم على

salem bin ham.indd 139 3/7/19 2:39 PM

مركب الخشب وصيد السمك من البحر، وأكلتنا الرئيسية تعتمد على الأرز واللبن والتمر، وهي الزاد الرئيسي لنا، والبدوي الذي لا يملك الأرز أو التمر يعيش على حليب النوق، أما أهل البحر فيعتمدون على السمك والتمر والأرز.. والقهوة عادة قديمة تلتصق بنا نحن العرب، فهي عبارة عن الترحيب بالضيف وإنزاله منزلة عالية، ومن لا يقدّم القهوة إلى ضيفه في البداية كأنه لم يقدّم له أي شيء مهما فعل وقدّم من شرب وأكل، فالقهوة في عاداتنا هي «رأس» الضيافة.

مياه الشرب كنا نجلبها من الأفلاج مثل فلج الصاروج وغيره، أو حفر الآبار داخل البيوت، فلم تكن هناك حنفيات في بيوتنا، وعادة ما تكون المياه حلوة أو مالحة، وكانت مصادر المياه قليلة، وكان الماء يوزع بالحصة التي يمكن أن تُباع وتُشترى وتُحتكر من قِبَل الموسرين فقط من التجار والأغنياء، ولندرة الماء وما تسببه من مشكلات بين الأهالي، أولى الشيخ زايد رحمه الله اهتماماً كبيراً بتوفير المياه للجميع، فبادر إلى عمل كل ما في وسعه لينساب الماء بوفرة، وبدأ بإصلاح الأفلاج القديمة المهملة، واهتم بحفر المزيد منها لتفي بالغرض المطلوب، وقد كان فلج الصاروج أولها، والذي تطلب حَفْره جهداً كبيراً لسنوات عديدة، حيث شارك المغفور له الشيخ

salem bin ham.indd 140 3/7/19 2:39 PM

زايد في حفر الفلج لكي يشجع من حوله على العمل بنشاط وهمة، وكان يرشد العاملين بأفكاره وتعليماته إلى المسار الصحيح للفلج، والحمد لله تكللت جهوده بالنجاح وجرت المياه غزيرة عبر الأفلاج لتسقي المزارع المختلفة.

وأولى الشيخ زايد نظام السقاية القديم اهتمامه فعمل على إصلاحه، وجعله للجميع بعد أن كان يقتصر على الأغنياء، وهذا بدافع الحب والعطف النابعين من قلبه لشعبه، كما دفعه كل هذا إلى إرساء مبدأ «الماء والكلأ لكل الناس»، وإنهاء «تجارة الماء» والقضاء على الاستغلال الذي كان يمارسه بعض الأغنياء وقتها، وقال: «إن مياه الأفلاج الآتية من جوف الأرض يجب أن تكون من حق كل الناس الذين يعيشون فوق هذه الأرض»، ومن هنا هدأت القلوب وتحابَّ الناس وعمَّ الخير والإصلاح على يديه.

ونستقرئ بالإضافة إلى ما ذكره الشيخ سالم بن حم عن المياه وأفلاجها في العين التي هي حقاً لؤلؤة الصحراء البراقة.. ما جاء في الكتاب القيم: كنت شاهداً.. الإمارات من عام 1960 إلى 1974.. رحلة العبور من مشيخات متناثرة إلى دولة اتحادية متماسكة.. هذا الكتاب وهو من منشورات المجمع الثقافي في أبوظبي، مجموعة استطلاعات نشرتها

salem bin ham.indd 141 3/7/19 2:39 PM

مجلة العربي الكويتية.. وهي رحلات مهمة قام بها خلال تلك الفترة الصحفي القدير سليم زبال الذي زار العين في عامي 1961 و1971، وكتب قائلاً: وقصة الماء في العين هي قصة حياة.. فلولا مياه الأفلاج ما كانت «العين» ومزارعها ونخيلها، والأفلاج نظام فريد اخترعه الإنسان لاستخراج المياه الجوفية وتحويلها إلى مزارعه.. وموقع العين تحت ظلال جبل حفيت الذي تتجمع مياه أمطاره في طبقات صخرية عند قاعدته، جعل من السهل سحب مياه الفلج من قاعدة الجبل.. تُحفر البئر الرئيسة «الأم» بالقرب من هذه القاعدة، وبجانبها تُحفر آبار عدة بين الواحدة والأخرى نحو سبعة أمتار، ومن فوهات هذه الآبار ينزل الحفارون لشق قناة أفقية، تربط قاع كل بئر بقاع الآخر، بشكل انحداري تنساب فيه المياه لمسافة تصل أحياناً إلى 23 كيلومتراً حيث المزارع والبساتين. وهذه الأفلاج لها قصص مثيرة، تختلط فيها الأساطير بالحقائق، فهي تكاد تكون إعجازاً في هذه المنطقة الصخرية النائية عن كل مظاهر الحضارة الحديثة. ومن الأقوال التي كانت شائعة إن هذه الأفلاج حُفرت في عهد سليمان الحكيم، الذي سيطر على الجان فسخرهم لحفر هذه القنوات!! وعندما ذكرنا هذا الكلام للشيخ خليفة بن زايد ممثل الحاكم في

salem bin ham.indd 142 3/7/19 2:39 PM

العين ضحك طويلاً، وقال لنا: «سنأخذكم لتروا الجن وهم يعملون..!» وسارت بنا السيارة تقطع أرضاً صحراوية تغطيها أشجار السمر التي تتغذى الأغنام والجمال على أوراقها في الشتاء، حتى وصلنا إلى مخيم صغير مساكنه مصنوعة من سعف النخيل وجذوع أشجار السمر، ووجدنا على بابه رجلاً مهيباً قدم لنا نفسه بقوله: «سلطان بن حامد بن مرشد العامري زميل زايد»، وبعد أن شرح له مرافقنا الغرض من رحلتنا وما سمعناه عن حفاري الأفلاج، استغرق في ضحك طويل، وقال ضاحكاً: يعني إحنا أصلنا جن؟ فقلت: هكذا يقولون فهل يمكن أن نعرف حقيقتكم؟. فقال: «نحن فرع من قبيلة العوامر، نعمل في حفر الأفلاج منذ أجدادنا، ننزل إلى عمق 14 باعاً تحت سطح الأرض (الباع هو طول ما بين مد الذراعين مستقيمتين) ونحفر الآبار في الأرض الصخرية بالشاكوش والمسمار، كما كان يفعل أجدادنا، وفي أعماق الأرض نوصل هذه الآبار بعضها ببعض بوساطة قنوات». قلت: وكيف يمكنكم معرفة اتجاه الحفر ومقدار انخفاض الأرض؟ هل عندكم أوراق وخرائط؟ فقال متعجباً: خرائط؟! أي خرائط تقصد؟ إننا قوم لا نعرف الكتابة ولا القراءة.. ولمعرفة اتجاه القنوات الأرضية نتبع صدى أصوات الدق والحفر التي

salem bin ham.indd 143 3/7/19 2:39 PM

نسمعها من مسافة 13 باعاً.

وعندما كان المغفور له الشيخ زايد حاكماً على مدينة العين وجه اهتماماً كبيراً بهذه الأفلاج، فأمر بإزالة الرمال المتراكمة فوق عين «أم السخنة»، وفي مايو 1969 عادت المياه تنساب منه، واستبدل اسمه ليصبح «فلج زايد».

وقد شارك المغفور له الشيخ زايد في حفر بعض الأفلاج بنفسه، كما أمر بإنشاء فلج العين وهو أكبر الأفلاج، واستمر العمل فيه 18 عاماً متواصلة، ويبلغ طوله 15 كيلومتراً، وتجري مياهه على عمق 22 متراً وتقوم بتغذيته مياه 198 بئراً تم حفرها.. وهكذا أصبح بالإمكان ريّ المزارع مرة كل 12 يوماً بعد أن كان كل 35 يوماً. كذلك تم مد 86 ألف قدم من قنوات ماء جديدة، كل هذه المشروعات ضاعفت مساحة المنطقة المزروعة في الواحة.

ويقول بن حم: وقد اشتهرت العين قديماً بزراعة أشجار النخيل الوارفة، وبوجود أفلاج المياه القديمة مثل فلج «الصاروج»، و«الجيمي»، و«القطارة»، و«الهيلي» وغيرها. كما كانت منطقة العين تُعدُّ بالنسبة للجوار الاستراحة الأفضل، حيث يلجأ إليها الناس للاستظلال تحت أشجار «اللومي»

salem bin ham.indd 144 3/7/19 2:39 PM

المتداخلة بين أشجار النخيل هرباً من حرارة الشمس الملتهبة في المناطق الصحراوية.

أما أعمالنا في الماضي فإنها لم تكن متشعبة، بل كانت بسيطة واعتيادية وعلى نمط واحد سواء للبدوي أو الحضري، فالبدوي الذي كان يسكن قريباً من البحر كانت أعماله تتركز على جلب الحطب و«السخام» وبيعه للحضري، أما البدوي الذي يسكن الصحراء بعيداً عن البحر فأهم أعماله تربية الإبل والأغنام ليشرب من حليبها أو يبيع منها ويشتري حاجاته من السوق أو يأكل من لحمها، وبالنسبة للحضري الذي يسكن ساحل البحر لم تكن لديه أعمال سوى الغوص بحثاً عن اللؤلؤ في فترة تمتد لثلاثة أشهر خلال فصل الصيف أو صيد السمك، وثروتنا الحقيقية كانت هي النخلة ومن كان له نخيل كان له مال، هذا إلى جانب الماشية من إبل وأغنام، والتي كنا ننتقل بها من مكان إلى آخر بحثاً عن الماء والمرعى الذي كان يعتمد أساساً على بعض الأشجار مثل «الغاف» و«السمر» و«المرخ» و«السلم» وغيرها، وعند نزول المطر تنبت بعض الأشجار مثل «الزهر» و«القطب»، إلا أنها تجف في الصيف عند اشتداد الحرارة ولا يكاد يمر موسم الشتاء حتى نخرج مع زايد للقنص، وفي البداية كنا نمتطي

salem bin ham.indd 145 3/7/19 2:39 PM

الجمال ثم بعد ذلك صرنا نركب السيارات لنقطع مسافات طويلة للقنص.

وكانت رحلة الصيد بالصقور تضم مجموعة من الرجال لا تزيد على ستين شخصاً ولا تقل عن عشرة أشخاص، وتكون الرحلة طويلة أحياناً تصل إلى أسبوع أو أكثر، ويكون ضمن هؤلاء الرجال الحاكم والتاجر الكبير ومنهم أيضاً الرجل العادي يجمع بينهم حب الهواية والألفة والرغبة في التمتع بالقنص، يأكلون من طعام واحد، ويتحركون معاً في كل مكان، وهذا الاختلاط يتيح لكل فرد من أفراد المجموعة أن يتكلم بما يريد ويعبّر عن أفكاره وخواطره دون تكلُّف أو قيود، ورحلة القنص إلى جانب عامل الترفيه تعد فرصة للحاكم كي يتعرف على أحوال الرعية ويتدبر الأمور، فيتاح للمسؤول أن يتعرف على رغبات شعبه، ويدرك ما يجول في نفوسهم ويقف على حقيقة آرائهم، فيحيط بها ويبادر إلى إصلاح شأن الناس عن دراية وفهم وعن معرفة صادقة وعميقة بأحوال الناس.

وكان المغفور له الشيخ زايد يرى أن رياضة الصيد بالصقور تعود الإنسان على الصبر والجلد والموازنة بين معايشة البر وحياة المدن وهذا من شأنه أن يغذي الإنسان بطاقة بديلة تعطيه دافعاً كبيراً لاستيعاب العمل وما يتضمنه

salem bin ham.indd 146 3/7/19 2:39 PM

من واجبات جسام، كما أن رحلات القنص فرصة حقيقية لاختبار معادن الرجال وطباعهم، وتمكن الإنسان من التحلي بخصال طيبة هي من آداب الصيد بالصقور، مثل عدم صيد الحيوان الذي يلجأ للإنسان من شدة العطش أو الجوع، وكذلك الصيد لا يكون إلا بعد مطاردة الفريسة، هذا إلى جانب روح الألفة والانسجام بين أفراد المجموعة حينما يقومون بإهداء لحم الصيد لبعضهم لبعض.

وفي أحد الأيام خرج المغفور له الشيخ زايد وكنا رفقة معه للصيد بالبندقية فاصطاد عدداً كبيراً من الظباء فتبيّن له أنه إذا ما تواصلت عادة الصيد بالبندقية فسيؤدي ذلك إلى انقراض عدد كبير من الحيوانات وهو الأمر الذي يرفضه دائماً، باعتباره رجل بيئة من الدرجة الأولى.

الحديث عن الصيد يشدنا للحديث عن الصيادين، ونسأل الشيخ سالم عن أحسن الصيادين الذين عرفهم.. فيجيب الرجل وفوراً: «إنه زايد بن سلطان، خير من رمى، وأشد من طارد، كنا نخرج للصيد في جبل حفيت في رمضان، والقيظ شديد والعطش أشد، فكنا نتوقف من الإرهاق إلا هو، فكان يركب فرسه ويطارد الظباء دون أن يظهر عليه التعب».

salem bin ham.indd 147 3/7/19 2:39 PM

"وسوالف الصيد مع زايد لا تنتهي، إنها رفقة عمر طيبة، من يوم استويت وحزت العقل وأنا أخٌ له.. ناصر ورفيق، وأسير في مأموريته على اللي يلزمه، وشهود أهل الوطن كلهم، يوم الناس تلعب عليهم بالأطماع، وضيع مستواهم، يشهد عليّ اللّه ومن عقب خلقه.. في الأوطان ثابتين، وأن نسير له بالصدق والمحبة..."

أما عالم الركاب «الجمال»، والطيور «الصقور»، التي ولع بن حم بحبها، وينتمي لها، فإن خبرته بها تشكل وصفاً دقيقاً يتجلى في قوله:

الركاب فيهن فرق، فيهن اللي تركض، وفيهن اللي تصبر على الجوع كود، فيهن اللي تعجز عن حمل الواحد ساعة، وفيهن اللي تحمل الاثنين ثلاثين يوم.. إن عالم الركاب كعالم الإنسان فيه وفيه، وأحسنها العُمانيات والحزامى، والأهم هو الفعل يوم تصير بالميدان وينطلق الرجال، بانت الطيبة من الردية، إن صارت لي الردية عجيتها ودورت غيرها، فالناقة على شكلها ترتهن، والناقة الطيبة كانت وما زالت مصدر فخر واعتزاز لصاحبها، ويعترف له بالركاب الحلوة. ويوم تسير تبغي نضر بالعدو، تفضل أصائل الركاب، وتقسم

salem bin ham.indd 148 3/7/19 2:39 PM

الصفوف وفق قوة الركاب وأصالتها وقدرتها، وصاحب الناقة الزينة يتصدر للمكان المشرف، وتسير للميدان وحين وصلنا نوخنا الركاب ليبدأ صراع الرجال.. وأنا أحب كل شيء أصيل وبالذات في الركاب، الناقة الجميلة منظرها يسرني ويشرح صدري كالعروس الجميلة سوية. أما الطير، فهو كالفوارس من الرجال، فيه وفيه، في فارس ما يجدر لواحد، وفارس ما يجدر عليه عشرة، وأشهر الطير الحر والشاهين، أما الحر فهو أكثر شوف وفيه النادر وفيه الضعيف، أما الشاهين فأسرع وأيضاً فيه نادر وفيه ضعيف، وصاحب الطير النادر، هو صاحب حظ كبير، فللطير معزة كبيرة في قلوب أهل القنص، ويوم يغيب «يضيع» الطير النادر يكون يوم حزن، نشعر كأن أحدنا غاب.. والطير يغيب لأسباب كثيرة ولكن أوضحها أن يشعر بالشبع.

وفي إطار ما يتحدث به سالم بن حم.. نقرأ ما يقوله ثيسجر في مؤلفه: الرمال العربية.. عدنا إلى المويجعي ووصلناها يوم 14 ديسمبر 1948.. بعد العشاء، كانت الغرفة مزدحمة بأتباع الشيخ زايد، وبعضهم يحمل صقوراً على معاصمهم. كنت أعلم أن تدريب الصقر البري في إنجلترا يستغرق خمسين يوماً، لكن العرب يدربونه في غضون أسبوعين

salem bin ham.indd 149 3/7/19 2:39 PM

أو ثلاثة، وذلك لأنهم لا يفارقونه على الإطلاق. إن الرجل الذي يدرب صقراً يحمله معه في كل مكان، إلى درجة أنه يتناول معه الطعام وهو يجثم على معصمه الأيسر، وينام معه وهو جاثم على وتد (الوكر) إلى جانب رأسه، وكان يتلمسه دائماً ويحادثه ويضع الغطاء على رأسه ثم يكشفه.

بعد قليل دخل الشيخ زايد، ووقف الجميع، وبعد أن جلسنا وقدموا القهوة للشيخ زايد، قال أحد رجال بني ياس «يا زايد، رأيت حبارتين هذا الأسبوع على مقربة من أبو سمرة». وقال آخر: «شاهدت ثلاث حباري الأسبوع الماضي». والحباري طيور بحجم أنثى الديك الرومي تصل إلى الجزيرة العربية آتية من بلاد فارس والعراق وسوريا في الشتاء ويغادر معظمها في الربيع والقليل منها يبيض هنا.

وقد أخبرني الشيخ زايد أن رجاله عثروا على ثلاثة أعشاش العام الماضي. ثم سأل عن الصقور، فقال له أحدهم: «سيرسل الشيخ هزَّاع صقرين آخرين أمسكوهما الأسبوع الماضي، ويجب أن يصلوا غداً». ويتم أسر الصقور عادة على الساحل في مثل هذا الوقت أثناء عبورها.. لقد كان الشيخ زايد يحتاج إلى بعض الصقور الأخرى قبل أن يذهب للصيد، وقال: «حسناً.. سنذهب إلى الصيد بعد أربعة أيام إن شاء

salem bin ham.indd 150 3/7/19 2:39 PM

اللّه»، ثم التفت إليّ وقال: «يجب أن تذهب معي» فوافقت شاكراً لأنني كنت دائماً أتشوق للصيد بواسطة الصقور.

منذ الصباح انشغل الشيخ زايد بتفقد الأمتعة والحبال والقرب الجلدية، ووجه أتباعه بتأمين الطعام الذي يجب أن يشتروه من السوق المحلي، والنياق التي يجب أن يحضروها من المراعي، ثم قام بتفقد صقوره، وقال: إن أحدهم يبدو متوعكاً ويجب أن يُعطي شربة مسهلة من السكر وأوصى بإطعام آخر بيضة مخلوطة بالحليب. وراقب صقراً يتم تدريبه على الطُّعم. وكان قد تم أسره قبل عشرة أيام فقط، لكن الجميع أكدوا أنه سيكون جاهزاً كي نأخذه معنا. وفي وقتٍ لاحق وصل ثلاثة من العرب مع الصقرين اللذين أرسلهما الشيخ هزَّاع، وكان أحدهما لا يزال مغلق العينين. كانت قطعة من القطن قد خيطت بجفنيه الأسفلين ورُبطت في أعلى رأسه، فأصبح لا يستطيع رؤية شيء. وعندما بدأ يأكل طلب الشيخ زايد أن يرفعوا الغطاء عن رأسه. أما الصقر الآخر فإن الريشة التي تساعده على الطيران كانت مكسورة، وقام الشيخ زايد بتجبيرها بواسطة شريحتين من قرن الغزال. ثم وسم الطيرين بعلامته على منقاريهما.

بعد أربعة أيام قال الشيخ زايد سوف ننطلق هذا المساء،

salem bin ham.indd 151 3/7/19 2:39 PM

وأتوقع أن نقضي حوالي الشهر، وسنصطاد في الرمال إلى الشمال الغربي من هنا حيث تتوفر المراعي وآبار المياه، ويقول البدو: إن هناك الكثير من الحباري.. في عصر ذلك اليوم، غادرنا الحصن ومررنا بأشجار النخيل. وكان الشيخ زايد قد أرسل نياق الأمتعة قبل انطلاقنا مع أوامر بنصب الخيام عند طرف الرمال، ومشت جمالنا خبباً عبر سهل الحصى برفقة خمسة وعشرين من أتباع الشيخ زايد البدو، وكان بعضهم يحملون الصقور على معاصمهم، وأنشدوا «التغرود»، وهي أهزوجة المسير التي يسوق البدو جمالهم على إيقاعها خبباً. لقد كانت معنوياتهم عالية، إذ إنهم ينتظرون موسم القنص بالصقور مثلما ينتظر الإسكتلنديون بدء موسم صيد طيور الطيهوج.

وصلنا إلى المخيم مع غروب الشمس، وكانت الكثبان قد صارت قاتمة قبالة سماء متوهجة، والسحب العالية تبدو كالبخار المتصاعد. فجمع الخدم الشجيرات وكدسوها ضد اتجاه الريح فيما كانت نار كبيرة تشتعل وراءها. وبعد قليل تجمعنا حولها لنتدفأ من هواء الليل القارس، ثم ارتشفنا القهوة. وفيما الضربات الإيقاعية على جرن القهوة النحاسي تدعو الجميع للاقتراب، كانت عائلة بدوية قد انضمت إلينا،

salem bin ham.indd 152 3/7/19 2:39 PM

ثم بدأت نياقها تتقدم نحونا عبر الرمل وخلفها صبيان بشعرهما الأشعث الطويل. وتم ذبح عنزتين ثم قطعتا، فيما كان الأرز يطهى في دست على نار هادئة. وبعد قليل قدم الصبيان، وكان أحدهما يحمل وعاء من الحليب تعلوه الرغوة وقدّمه إلى الشيخ زايد قبل أن يجلس في حلقتنا للعشاء، وأخبرنا الصبيان أنهما عثرا على آثار خمس حباري حول البئر.. كما وجدا آثاراً عمرها يومان لحبارى أخرى في الرمال القريبة. فالتفت الشيخ زايد نحوي وقال: إن شاء الله سنأكل لحم الحبارى غداً. في اليوم التالي استيقظنا باكراً، وأحضر أحدهم النياق إلى جانب النار التي جلسنا حولها نتلفع عباءاتنا لأن الطقس كان لا يزال بارداً جداً، وناداني الشيخ زايد ليسألني عما إذا كنت أود امتطاء «غزالة». فوافقت بكل حماس.. قال: «لم تركب في حياتك ناقة كهذه، فقلت له: إنني ركبتها عندما ذهبت إلى الشارقة في الربيع الماضي».

وبينما كانت الشمس ترتفع حملنا بنادقنا وعصي النياق استعداداً للركوب، ورفع الصقارون الشواهين الثمانية عن الأوتاد التي كانت جاثمة عليها، وكانت مبللة من الندى الكثيف، ثم نادوا على الكلاب السلوقية الثلاثة. ووقفنا خلف نياقنا، والتفت الشيخ زايد حوله ليرى ما إذا كنت جاهزاً،

salem bin ham.indd 153 3/7/19 2:39 PM

ثم وضع ركبته على ظهر الناقة، ووقفت ناقته على الفور وانطلقنا في الرمال.

كنا نتوقع أن نجد الحبارى على المنبسطات بين الكثبان وليس على الكثبان ذاتها، فمشينا مع النياق نتفحص الأرض بحثاً عن آثار الحباري، وكنت أتوقع أن يكون الصمت مخيماً على الجميع أثناء ذلك، لكن كان عليّ أن أعلم من الخبرة أن البدوي لا يمكن أن يظل ساكتاً، فكان كل واحد يتحدث بصوت مرتفع، وأخذ كل متخلف عنا يعدو بناقته للحاق بنا وهو يهزج على مزاجه. وفجأة أشار لنا عربي كان على جهة اليسار بأنه عثر على آثار حبارى جديدة، وعندما استدرنا نحوه ظهرت واحدة على بعد أربعمائة ياردة تقريباً وكانت الخطوط البيضاء بادية على جناحيها بوضوح قبالة الرمل الأحمر. ونزع أحد الصقارين الغطاء عن رأس صقره وأطلقه في الهواء. كان يطير على ارتفاع بضعة أقدام عن الأرض وكانت الحبارى ترتفع، لكن الشاهين كان أسرع منها فأدركها. كانا يبدوان كنقطتين صغيرتين يصعب تمييزهما، ثم اختفيتا عن أبصارنا. وصرخ أحدهم: «لقد وقعت»، فرحنا نتسابق عبر الرمال.

وفيما كنا ننحدر من على سطوح الكثبان ونصعد

salem bin ham.indd 154 3/7/19 2:39 PM

من الحُفَرِ ونعدو عبر المنبسطات، أدركتُ أنني كنت أمتطي ناقة ممتازة جداً، إذ كنت مستوياً على ظهرها تماماً. وكان الصقارون إلى جانبي يحملون صقورهم على معاصمهم ممسكين بقيودها.. وصلنا إلى الصقر في إحدى الحُفَرِ، وهو ينتف الحبارى. فنزل أحد الرجال من على ظهر ناقته وشقَّ رأس الحبارى وقدّم نخاعها إلى الصقر، ثم كوّم الرمل على الجثة لإخفائها. وأعاد الصقر إلى مجثمه، ونزلنا جميعاً عن نياقتنا، وأشار الشيخ زايد إلى بعض البقع الزيتية على الأرض وقال: «هل ترى هذا الوسخ؟ إن الحبارى تزرقه على مهاجمها، فإذا دخل عين الصقر فإنه يصيبه بالعمى مؤقتًا، وإذا وقع على ريشه فإنه يوسخه تماماً، ولا يمكن استخدام الصقر مرة أخرى في ذلك اليوم».. وسألت: «كم حبارى يستطيع الصقر أن يصطاد في اليوم الواحد؟ فقال: يمكن للطير الجيد أن يصطاد ثماني أو تسع حباري، ولكنه يصطاد سبع حبارى وهي تطير مقابل أربع حباري على الأرض.. هل ترى أين تقاتلا؟، وأشار إلى خط الريش بطول خمسة وعشرين ياردة عبر الرمال يمكن أن ترى ضراوة القتال بينهما، ويمكن للحبارى في بعض الأحيان أن تفقد الصقر وعيه بضربة من جناحيها.

وواصلنا المسيرة ثانية، وقمنا بمفاجأة حبارى من

salem bin ham.indd 155 3/7/19 2:39 PM

حفرة في الرمال هبطت على الأرض حالما أدركها الشاهين الذي انقض عليها مرتين، ثم هبط إلى جانبها، وقفز عليها محاولاً الإمساك بها بمخلبيه، ففرشت ذيلها وضربت الصقر بجناحيها، ثم وصلت الكلاب السلوقية وساعدت الصقر على قتلها لأنها عندما ترى أن الصقر بدأ يصيبه الوهن تركض مسرعة وراءه، ثم طرد الصقر الكلاب. وعندما وصلنا، كانت الكلاب جاثمة إلى جانب الحبارى الميتة والصقر يمزقها... اصطدنا حبارتين أخريين وبعض الأرانب البرية، قبل أن يتوقف الشيخ زايد لتناول الغداء. وقد سمعت أن الشواهين البرية لا تصطاد الأرانب، ومع ذلك يرى العرب أنه من الأسهل استخدام الشاهين المدرب حديثاً لصيد الأرانب البرية وليس لصيد الحباري. وعادة ما يقوم الكلب السلوقي بالإمساك بالأرنب البري، لكني خلال الأسابيع الثلاثة التالية رأيت الشاهين أكثر من مرة يطير نحو أرنب بري تطارده الكلاب.. وبينما كنا نُعدُّ الخبز ونشوي حبارتين بدفنهما مع ريشهما في الرماد الساخن. حلق غراب ينعق فوق المكان. فقال الشيخ زايد: «سوف نرى إذا كان الشاهين سيقتله، ففي السنة الماضية قتل أحد الشواهين التي كانت عندي غرابًا». لكن الشاهين الذي أطلق لم ينقض سوى مرات قليلة وغير

salem bin ham.indd 156 3/7/19 2:39 PM

فعالة على الغراب الذي كان يواجهه بسهولة بالدوران على ظهره.

وبعد تناول الغداء واصلنا المسير وبعد قليل اكتشفنا حبارى على بعد خمسين ياردة، لكن الشاهين الذي رفع الشيخ زايد الغطاء عن رأسه، رفض أن يطير. نظر الشيخ زايد إلى أعلى وأشار إلى أربعة نسور تطير عالية فوقنا. وقال: «إنه خائف منها». وبعد قليل جفّلنا حبارى أخرى وطار الشاهين هذه المرة وعاد في الحال إلى الشيخ زايد وارتطم على صدره بينما كان أحد النسور ينقض عليه محدثاً صفيراً عالياً كصوت قنبلة تخترق الهواء. وعجبت كيف أن النسر لاحق الشاهين وتجاهل الحبارى. فقال الشيخ زايد وهو يتلمس الطير الخائف: «لقد نجا بأعجوبة، وكان محظوظاً لأنه لم يدرك الحبارى.. وعلى كل حال يجب أن نتابع المسير.. لا فائدة من البقاء هنا، وتلك النسور تحلق فوق رؤوسنا».

في وقت متأخر من عصر ذلك اليوم، رأينا ثماني حباري تطير من أحد الوديان بين الرمال ثم تحط على الأرض. واتجهنا نحوها ببطء وصمت لأول مرة بعد أن ربطنا الكلاب. كان أحد الصقور مكشوف الرأس وبدا أنه رأى الحبارى على الأرض، لكنه بعد انطلاقه أخفق في العثور عليها، مع أنه طار

salem bin ham.indd 157 3/7/19 2:39 PM

ذهاباً وإياباً على ارتفاع منخفض. ثم تم استرداده، وفيما نحن نتقدم طارت حبارتان معاً على بعد مائتي ياردة من أمامنا، فأُطلق صقر آخر وأدرك إحداهما وأنزلها إلى الأرض وقتلها. وفيما بقينا في مكاننا ذهب صاحب الصقر وأحضرها. كانت الحبارى الأخرى على مقربة منا، وتمكنا من تحديد مكانها واحدة واحدة وقمنا بتطييرها وتركنا الكلاب تطاردها. وفيما كانت تهبط على الأرض كانت الكلاب تصل إليها فتطير ثانية، إلى أن بدت أنها مصممة على التفوق على الشواهين، فحلقت في دائرة كبيرة والشاهين ينقض عليها وهي تتملص منه. لقد كانت الحبارى تطير ببطء وترفرف بأجنحتها من دون استعجال. وكان واضحاً أن الشاهين يطير بأقصى سرعته. وبينما مرّت الحبارى فوق رؤوسنا انقض الشاهين عليها لآخر مرة وأخطأها، ثم طار إلى الأعلى ونزل بسرعة إلينا.

بعد حلول الظلام عدنا نحو المخيم نهزج ونغني ونحن نشعر بالتعب الشديد والبرد القارص، لكننا كنا راضين بحصيلة اليوم الأول. وجلسنا حول النار نتحدث عن صيد يوم آخر. وبينما كنت مستلقياً فيما بعد تحت النجوم اللامعة أستمع إلى رغاء النياق المتواصل كنت أشعر بسعادة غامرة لأننا نصطاد الطيور بالصقور وفقاً للطرق التقليدية، وليس

salem bin ham.indd 158 3/7/19 2:39 PM

بواسطة السيارات كما يفعلون في نجد هذه الأيام.

ويقول سالم بن حم: الصيد انقرض في البلاد.. كان القنص في الماضي متوفر، من المقطع وطالع كان يوجد الظبي، والأرنب، والحبارى، وكنا نصيد بالطير والكلاب، وكان كل صياد لا يتعنى في البحث عن طريدة، أما اليوم فإن الأمر قد تغيّر، كثر الصيادون وقل الصيد.. وكان ظهور السيارات يعني هروب الأرنب والظبي فأصبح نادراً.

وعن نظام الحكم الذي كان سائداً في المنطقة آنذاك يقول الشيخ سالم بن حم: لكل قبيلة في البادية شيخها الذي يتولى رعايتها، ويتدبر أمورها، ولا سلطان عليه من شيوخ القبائل الأخرى، وكان شيوخ القبائل يتخذون قراراتهم بعد مشورة كبار القبيلة، وأصحاب الرأي فيها، ولا يصدرون أحكامهم بالسجن على المخطئين والمعتدين، بل يأخذون الحق من المخطئ ويردونه إلى أصحابه.

ويقول الشيخ بن حم: إن الأهالي في الفترة التي سبقت قدوم الشيخ زايد لم يعرفوا الثروة التي تمثلت في الأعمال والخدمات الجليلة التي قدّمها، وعمّت الخيرات القريب والبعيد، حيث بات الجميع ينعمون بالأمن والأمان في ظل

salem bin ham.indd 159 3/7/19 2:39 PM

أعمالـه الخيـرة وعدالتـه وإصلاحاتـه.

وعـن ذكرياتـه الرمضانيـة، تحدث بـن حـم عـن أجـواء الماضـي ومـا تميّـزت بـه مـن تآلـف وتكافـل اجتماعـي فقـال: بمجـرد أن يهـل هـذا الشـهر الكـريم نستشـعر حـلاوة غيـر معهـودة، أيامنـا وأوقاتنـا تختلـف عـن بقيـة الأيـام، كنـا نقـوم بإعـداد موائـد الإفطـار التـي يجتمـع حولهـا الأهـل والغربـاء، وكل مـار مـن الطريـق لـم يكـن يحمـل هـم الإفطـار ولا ينتظـر الدعـوة، لأنهـا دعـوة عامـة علـى الخيـر، ويسـتمر هـذا طـوال شـهر رمضـان الكـريم.. ويقبـل المصلـون علـى المسـاجد لصـلاة التراويـح، ويتسـابق الجيـران المحيطـون بالمسـجد في إرسـال الموائـد إلـى المسـاجد لتتقـوى الصلـة وتنتشـر الفرحـة وينقسـم الأجـر بـين السـامع والتالـي للقـرآن الكـريم.

أمـا المجالـس الرمضانيـة فكانـت جـزءًا مـن النهـج الأصيـل للمغفـور لـه الشـيخ زايـد بـن سـلطان آل نهيـان الـذي كان يعتبـر نفسـه رب الأسـرة الكبيـرة لأبنـاء الإمـارات، وهـي حـوار حـي يجسـد العـادات والتقاليـد الأصيلـة لمجتمـع الإمـارات، ومـا زلنـا حتـى الآن نقيـم مجلسـاً رمضانيـاً كل عـام ندعـو إليـه عـدداً مـن الشـخصيات الوطنيـة.. إن هـذه المجالـس تعكـس تعاليـم الديـن الإسـلامي الـذي يدعـو إلـى تدعيـم أواصـر الأخـوة والمحبـة وروح

salem bin ham.indd 160 3/7/19 2:39 PM

التراحم والبرِّ والتكافل بين أفراد المجتمع. ويجب علينا جميعاً ترسيخ هذه العادات والتقاليد في نفوس الأبناء وإرشادهم وتوجيههم لحضور المجالس الرمضانية، نظراً لخصوصيتها التي تستمدها من نفحات هذا الشهر الكريم، وأيضاً لدورها في مواجهة ما طرأ على المجتمع من تغيرات بسبب الرفاهية ووسائل الاتصالات الحديثة التي أثرت بالسلب على العلاقات بين أفراد المجتمع. وعن «الفوالة» أو المأدبة التي يدعى إليها رواد المجلس الرمضاني بعد مرور وقت على صلاة التراويح ودلالات هذه المأدبة ومكوناتها من الأكلات وما إذا كانت تختلف كثيراً عنها أيام زمان، يقول الشيخ سالم بن حم: نظراً لطبيعة الحياة القاسية في الماضي كان هناك نوع من الندرة في الطعام والزاد عند بعض الناس وبشكل عام كان الطعام في الماضي لا يختلف كثيراً عمَّا هو عليه الآن حيث تضم المائدة في الغالب اللحم بالرز والهريس الذي يتألف من القمح واللحم بالإضافة إلى الثريد والبلاليط والعصيد واللقيمات التي تُعدُّ من الأكلات المحلية القديمة التي تتصدر المائدة في رمضان حتى الآن ويلتف الأهل والأصدقاء والجيران حول موائد الطعام في شهر رمضان وهذا يُعدُّ من العادات والتقاليد الأصيلة التي يحرص عليها أبناء الإمارات.

salem bin ham.indd 161 3/7/19 2:39 PM

ولقد تعلمنا الكثير من مجالس الشيوخ، وهذه المجالس في رمضان وغير رمضان تزرع الحب والخير والنماء في ربوع الوطن.. إن هذا النهج الأصيل كرّسه المغفور له الشيخ زايد رب الأُسرة الكبيرة لأبناء الإمارات. وإن التغيّرات المتلاحقة التي حدثت لم تغيّر من عادات وتقاليد أبناء الإمارات الأصيلة.

أما مناسبة العيد، فإنها كانت رغم بساطتها، تلف الجميع بفرحة كبيرة، تبدو آثارها على وجوه الكبار والصغار دون تفرقة أو تمييز. وكانت مظاهر التآلف والتواصل تتضح بصورة كبيرة، حيث كان الجميع يتبادلون الأطعمة والهدايا، وكان الجار يعطف على جاره ويحرص على أن يشعره بفرحة العيد حتى بما يملكه مما زاد عن حاجته من الملابس والذهب التي يعود بها على أهل جاره ليلبسوها في هذه المناسبة.

ولقد كان الناس يصنعون من هذه المناسبة فرصة للقاء والتجمع وسط أجواء من البساطة والصفاء الروحي والنفسي، ومما كان يزيد من فرحتنا مشاركة الحاكم لنا فرحة العيد وتبادل التهاني وإقامة الاحتفالات الشعبية كالعيالة وركوب الخيل والعرضة.

وكان المغفور له الشيخ زايد يؤكد على أهمية تناقل

salem bin ham.indd 162 3/7/19 2:39 PM

حوادث الماضي بكل واقعية، وعلى تجسيد الماضي لأبنائنا، كان يردد علينا دائماً: «إن الشباب لا يعرفون الذي مرَّ علينا وشعرنا به ولمسناه ولمسنا كربه.. فإذا لم نكلمهم اليوم وإذا لم نُتِحْ لهم الفرصة بين ذويهم وأهليهم فيتكلمون معهم ويخبرونهم عن الماضي.. فمن يفعل ذلك؟

والجميع يتذكر مقولة الشيخ زايد رحمه الله: "أريد منكم مزيداً من التقدير للماضي، ومزيداً من الذكريات؛ لأن من لا يذكر ماضيه لا يعمل لحاضره، والمزيد من التحدث عن الماضي يجعل أبناءنا يقدرون الحاضر ويستعدون للمستقبل."

يقول بن حم: لا تصدقوا من يقول لكم: إن الماضي كان بشعاً، عذاباً صرفاً، لكل أيام حلاوتها، وإن كان الخير هذه الأيام وفيراً، فإن لأيام الماضي خيرها، وكل وقت وله مميزاته، أهل البحر عندهم اللؤلؤ، وعندهم سمك وأهل تجارة وأهل سفر. وأهل الحضر، اللي عنده نخيل يبيع التمر ويزرع الأرض، وحياته حلوة ومرتاح فيها.

وأهل البادية: عندهم الجمال، وعندهم الغنم، ويبيعون من الجمال والغنم، مرتاحين، إذا جاهم الضيف، اللي عنده غنم ذبح غنم، أو ذبح ولد ناقة، ويتاجرون بالركاب، ويشترون

salem bin ham.indd 163 3/7/19 2:39 PM

التمر والكساء.. يعني حياتنا السابقة كانت حلوة، والكلام اللي نسمعه يقول: إن أهل ابوظبي كانت شاه تغذيهم كلام ما له معنى، واللي يقول: الماضي كله شين «مو بصحيح».. كل زمان له ميزاته.

أما عن تقاليد القتال في تلك الأيام، يقول سالم بن حم.. إن الموت واحد والحرب أمر صعب، والإقدام عليها ليس بالأمر البسيط أيضاً، حتى ولو كانت حرب عشائر، إن نية الحرب واحدة، سواء بين أكبر الدول أو أصغر العشائر، لأن الموت واحد سواء لواحد أو لألف، بالخنجر أو بالمدفع، فعندما تقول الحرب فأنت أمام الموت، والموت في كل الحالات هو الموت. وحروبنا في السابق كانت تدور في رحاب هذه الربوع التي فيها خلقنا، ورأينا النور، وحملنا السلاح.. فأنت لا تعادي إلا من يمكنك الوصول إليه، ولا يعاديك إلا من يستطيع أن يصل إليك.. وفي ذاك الزمان كانت حدود الاستطاعة محدودة، وكل الحوادث شهدتها الجزيرة. وكانت هذه المعارك تستمر شهراً أو شهرين أو سنة، ثم يتم الصلح ويأخذ كل طرف على الآخر عهد الله، ويدفن الماضي سواء كان سببه خطأ بسيطاً أو ذبحاً.. فما دام عهد الله بيننا فلا شر يقوم، اللهم إلا إذا وقعت أحداث أخرى، ويرى أحد أطراف الصلح أنه القتال ولا

salem bin ham.indd 164 3/7/19 2:39 PM

بديل، فإنه يذهب للعشيرة التي أضرّت به ويرد عليهم «البرا»، وهذا بمثابة إعلان للحرب، وبعد رد البرا بأسبوع فإن القتال يصبح مشروعاً. فتعد الركاب والسلاح، وتبدأ المواقع، والتي تستغرق أسبوعين للخروج ومثلهما للعودة قد تزيد وقد تقل.

ويقول بن حم عن السلاح المستخدم في ذلك الزمان: لحقنا على العثماني، وأمات عشر وميزر، والألماني، وأم تاين وهلنا لحقوا على السيوف، أيام جدودنا، أما نحن فعرفنا البارود.. وكان الطفل منا يشب وعينه معلقة بالبندقية ومحزمها.

ويستذكر سالم بن حم أول مرة حمل فيها السلاح، فيقول: كان هذا في مطلع شبابي الباكر، كانت الشعيرات الأولى في شاربي وذقني تطل خفيفة على وجهي، وكنت أتمتع بقوة في النظر أحمد الله عليها، وذات مرة كنت مع الشيخ طحنون بن محمد، ومجموعة من رفاقه، وقالوا لي: إنني كبرت على السلاح.. وإن نظري لم يعد مثل الأول، فقلت لهم: «لا والله البصر بنعمة والحمد لله».. فأحضروا لي هدفاً صغيراً جداً ووضعوه على أبعد مرمى، وفعلاً رفعت الهولندية وصوبتها في نصف الهدف تماماً، وكانت والحمد لله. والهولندية بندقية معروفة من أمات خمس.. وقد اشتريناها عندما كنت أنا

salem bin ham.indd 165 3/7/19 2:39 PM

والمرحوم الشيخ سعيد بن شخبوط في زيارة إلى لندن.. وما زالت عندي.

أذكر ذات مرة في قتال، وكان الجو قيظاً، بدأ الرمي، وكان الرصاص ينهمر كالسيل، بحيث كانت الإبل تضطر كي تتلافاها أن تتعرج برقابها كالثعابين، كانت خطوط الرصاص تمرق بجوارنا وأزيزها يخرق الآذان، واضطررنا للتوقف حيث استترتُ خلف شجرة، واستمر الضرب، ويومها شبت النار في تلك الشجرة من شدة النار والرصاص، ورغم كل ذلك يشاء الله أن أخرج سليماً معافى.. نعم.. «الرصاص مجدر».

الحرب تستلزم الذكاء، ويجب تلافي أضرارها قدر الإمكان، وهذا يحتاج لاستعمال العقل أو الحيلة كما نسميها نحن، والسياسة كما تقولون أنتم.

خلال الضرب، وبعد الرصاصة الأولى تتملك الرجل منا حمية ينسى فيها الخطر، ولكن الحكيم لا ينسى الحذر.. إذ أقل لفتة تعني الهلاك. والمحارب بعد موقعة واثنتين يولد فيه حسٌّ قوي يجعله يشعر بالخطر ويتفاداه، بالغريزة، ولكن وبرغم ذلك فإن «الرصاص مجدر» إنه قدر، ولولا ذلك لما كنت أنا الآن جالس أمامك، أحكي لك سوالفي، نعم إنه القدر

salem bin ham.indd 166 3/7/19 2:39 PM

لا غير هو الذي يحدد نصيبك، حياتك وموتك، من يصدق أن إنساناً يعيش في قلب الخطر أربعين عاماً لم يصب مرة، إنها رحمة الله عز وجل وإرادته.

وحين يقترب الشيخ سالم بن حم في ذاكرته عن مدينة العين من منتصف الأربعينيات.. يقول كيف إن الأحوال في مجملها بدأت تتجاوز ما كانت عليه من تدهور وبخاصة الحالة الاجتماعية والاقتصادية.. بل إن تحولاً مهماً قد شهدته العين بتولي الشيخ زايد المسؤولية عام 1946 ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية لإمارة أبوظبي.

لقد كنا لا نعرف طعم الهناء.. الهناء عرفناه مع زايد.. بابه في قلعة المويجعي مفتوح للجميع.. يفضون إليه بكل ما يختلج في صدورهم من معاناة وآمال وطموحات.. ويعبّرون عن رأيهم دون خوف أو تردد؛ إنه الشعور بالأمان.. الجميع شعروا بأمان كبير معه، وأنه واحد منهم وحريص عليهم، يتألم لألمهم، ويفرح لأفراحهم، ويتفانى في مد يد العون للجميع دون كللٍ أو ملل، حتى إن كثيراً من الرحالة وصفوا الشيخ زايد برب أسرة كبيرة يجلس دائماً للاستماع إلى مشاكل الناس ويقوم بحلها.. ويخرج من مجلسه المتخاصمون بهدوء وكلهم رضا بأحكامه التي تتميز بالذكاء والحكمة والعدل.

salem bin ham.indd 167 3/7/19 2:39 PM

ويضيف الشيخ سالم بن حم: وُلد زايد داخل مجتمع محافظ لم تضطره ظروفه القاسية إلى الجزع أو اليأس، بل خلقت تلك الظروف في نفوس الناس حب المقاومة والصبر والتجلد من أجل البقاء وإثبات الكيان، محافظين في الوقت ذاته على ذلك الرصيد الهائل الذي خلفه الأجداد من تقاليد وقيم ومثل عليا.

وقد أمضى زايد وقتاً من طفولته في قصر الحصن في أبوظبي، ثم انتقل من أبوظبي إلى واحة العين التي كانت موقعاً استراتيجياً لتجمعات البدو والحضر وخاصة في فصل الصيف هروباً من رطوبة البحر، والقيظ الشديد، كما كانت سوقاً كبيرة لتبادل شتى أنواع البضائع مع تجار الإمارات الشمالية. وفي العين أمضى الشيخ زايد وقتاً طويلاً من شبابه.

إضافة إلى ما ذكره بن حم، جاء في الاستطلاع الذي قامت به مجلة العربي الكويتية في مدينة العين في أوائل الستينيات:

وما كدنا ننتهي من استطلاع قطاع أبوظبي البحري المطلّ على الخليج العربي، حتى اتجهنا إلى قطاعها الثاني الداخلي الصحراوي، حيث تختبئ لؤلؤته البراقة: العين.

salem bin ham.indd 168 3/7/19 2:39 PM

حاولوا عبثاً إقناعنا بأن الطريق إلى العين هو طريق العذاب والصعاب، مؤكدين كلامهم بأن رحلة الذهاب على ظهور «المطايا» الجمال من أبوظبي إلى العين تستغرق ستة أيام بلياليها!.. وهذه الرحلات من أبوظبي إلى العين كانت تقوم بها العائلات في مطلع صيف كل سنة. فما تكاد بشائر الصيف تلوح حتى تخضع أبوظبي لحالة استنفار شاملة.. الآلاف من شبابها ورجالها يبدؤون استعداداتهم للتوجه إلى مغاصات اللؤلؤ يمضون ثلاثة شهور في عرض البحر في أعماقه بحثاً عن اللؤلؤ المنشود.

وفي الوقت نفسه تزدحم الأسواق بالنساء والشيوخ والأطفال، كلهم جاؤوا لشراء احتياجاتهم من قهوة وسكر وأرز وطحين وسمك مملح وجاف وتوابل، استعداداً لقيامهم برحلة الاستجمام الصيفية المعتادة إلى مزارع العين، هرباً من مناخ أبوظبي الحار، ورطوبتها الخانقة، فوسائل الحماية من لهيب الصيف لم تكن متوفرة بعد في أبوظبي.

تبدأ الرحلة باستئجار «المطايا» كل عائلة تستأجر ما بين عشرة إلى عشرين جملاً لركوب النساء والأطفال وحمل ما معهم من مفروشات ومعدات ومؤن وغذاء.. كانت القافلة تنطلق على الطريق المتعرج الطويل (160 كيلومتراً) تقف خلاله

salem bin ham.indd 169 3/7/19 2:39 PM

خمس مرات للنوم والمبيت في العراء، منتظرة قافلة من نوع آخر، كانت تلحقها قافلة الأغنام الخاصة بالعائلة التي تتأخر في السير عن قافلة الجمال.. وعند الوصول إلى العين كان البعض يمتلك مزارع هناك تقيم فيها العائلة طوال الشهور الثلاثة.. والبعض الآخر كان يستأجر «العرشان» الأكواخ من المزارعين، ومعها يستأجر عدة أشجار من أنواع النخيل التي يختارها، كل شجرة إيجارها روبيتان، للاستفادة من ثمارها طوال شهور الإقامة في المزرعة.. وعلى الطريق نفسها التي سلكها «الحضار» أي المصطافون انطلقنا داخل سيارة اللاندروفر.. فلم يكن في خاطرنا منافسة «ويلفرد ثيسجر» آخر الرحالة الذي وصل إلى العين متربعاً على ظهر جمل.. كان عنده الوقت الكافي لتمضية شهور طويلة في رحلاته، أما استطلاعاتنا فكانت محددة بأيام قليلة متسارعة!

عبرنا جسر المقطع الحجري الذي يفصل جزيرة أبوظبي عن اليابسة، متجهين جنوباً على طريق رملي غريب في تنوع تضاريسه من مستنقع مليء برشح مياه البحر، إلى خط رفيع من أرض طينية، تحدها رمال ناعمة خطرة على الجانبين، إلى سهل رملي منبسط، تنمو فيه أعشاب الهرم التي يتناولها البدو لعلاج أوجاع المعدة.

salem bin ham.indd 170 3/7/19 2:39 PM

وكلما تقدمنا في المسير كانت الكثبان الرملية الصفراء تتحول إلى رمال حمراء، لا أثر فيها لإنسان أو حيوان، وبعد قليل بدأت الأعشاب في الظهور مع بعض أشجار السمر، إنها بمثابة الإعلان عن الوصول بعد رحلة استغرقت ثماني ساعات، داخل عربة صغيرة تتأرجح على التلال والكثبان.

إن موقع العين المنعزل وسط رمال الصحراء.. يجعلها المكان الوحيد المأهول في دائرة قطرها مئة كيلومتر تقريباً. وعلى الخارطة أحصينا خمس طرق للقوافل تتجه إليها: من نزوى، وداخلية عُمان، وأبوظبي، وقطر، والسعودية.. كلها تتجه نحو هذه الواحة وهي ليست واحة واحدة بل عدة واحات أو قرى مختلفة تتجمع على هيئة مثلث قاعدته ستة كيلومترات وارتفاعه عشرة.. وكل واحة منها تحمل اسماً مختلفاً، منها: العين ـ الجيمي ـ القطارة ـ المعترض ـ المويجعي ـ هيلي.. وهي ليست قرى بالمعنى المفهوم بل بليدات متفرقة، منازلها مبنية من الطين، تفصل بينها كثبان رملية عامرة بالنخيل وأشجار السمر الصحراوي.

كان البدوي يتجه إلى «العين» على رأس قافلة من الجمال، تحمل أكواماً من الأعشاب الجافة التي جمعها من الصحراء. وما تكاد قافلته تظهر عند مشارف الواحة حتى

salem bin ham.indd 171 3/7/19 2:39 PM

يتسارع إليها الرجال، كل منهم يريد شراء حمولة قافلته، وفي النهاية يبيعها بسعر لا يتجاوز 42 روبية لحمولة عشرة جمال (13,4 روبية = جنيه استرليني) آنذاك. ويأخذ البدوي هذه الروبيات الهندية، وهي العملة المتداولة حينذاك، ويتجه ناحية السوق تحت أشجار القرط والسدر، فيشتري نصف سمكة مجففة، آتية من شاطئ عُمان، بروبية واحدة.. ورطلاً من اللحم بروبيتين ونصف ثم يتجه إلى السوق المبني من الطين، والمسقوف بسعف النخيل، فيقابل زميلاً له أيسر حالاً منه جاء مع حمار محمل بخمسين من «الغليون» التمباك، فيسيران معاً يعرضان البضاعة على أكثر من تاجر، حتى يبيعا الربطات الخمسين، بخمسين روبية.. فيشتري هذا الزميل «الثري» الشاي والقهوة والتمر والأرز، ودهن الياسمين (عطر محلي)، والبلاليط (وهي الشعرية) وعلب صلصة الطماطم، ونعلاً من الجلد لسيدة الأُسرة.. بعد ذلك يتجهان إلى بائع الصواني الخشبية، والأقمشة فيشتريان قطعتين من القماش لزوجتيهما.

وعند بائع البرتقال تبدأ مجادلة حول السعر، ولكن البائع يتمسك بسعره ويرفض أن يبيعهما بأقل من روبية لكل ثلاث برتقالات.. فيتركانه وينضمان إلى حلقة كبيرة من الناس

salem bin ham.indd 172 3/7/19 2:39 PM

ملتفين حول مجموعة من الجمال المعروضة للبيع بالمزاد، فيجلسان يستمعان إلى «الدلال» وهو يعدد مزايا الجمل المعروض، ثم يبدأ المزاد، فترتفع الأصوات.. هذا بخمسين روبية، وذاك بستين، وأخيراً يرسو المزاد على أحدهم بتسعين روبية.. وليس هذا السعر هو ثمن كل جمل، فقد بيع أحد الجمال الأصيلة بمبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة روبية أي 262 جنيهاً استرلينياً، هكذا قالوا لنا! والأصالة في الجمل تحتم انحداره من سلالة معروفة يحفظ البدوي أسماءها المتعددة: مصيحان، عرجان.. ولا بدّ أن يكون أنثى، أي ناقة، خفيفة الحركة، سريعة العدو، صدرها واسع وفخذها ملآن، ورقبتها طويلة، ورأسها متوسط الحجم، وأسنانها سدسا (أي عمرها 6 سنوات)، وخصرها ضيق ضامر، وكانت هناك علاقة خاصة بين البدوي وجماله، يرتاح لراحتها ويتألم لآلامها.. وعندما يذهب للحج كان يمتطيها 25 يوماً كاملة لتوصله من العين إلى مكة المكرّمة.. كان يشرب حليبها لأوجاع المعدة، وبولها لعلاج السكري.. وكانت لسباقات الهجن تقاليدها وعاداتها في العين.. الآباء يدربون أولادهم الصغار على ركوب نياق السباق حتى يكون حملها خفيفاً.

وبشأن ما أشرنا إليه، يقول سالم بن حم: إن من

salem bin ham.indd 173 3/7/19 2:39 PM

اهتمامات المغفور له الشيخ زايد طيب الله ثراه، كان تنشيط الحركة التجارية في العين فبادر إلى بعث سوق تجارية لإنعاش حركة البيع والشراء وتوفير السلع للمواطنين.

كما شهدت العين إصلاحات وإنجازات عديدة.. والإنجازات تلد الإنجازات.. هكذا يصف بن حم ما شهده آنذاك، ويقول: إن هذا جعل العديد ممن عايشوه يرون فيه رجل الإصلاح الأوحد الذي سيرسم له المستقبل آفاقاً أرحب، ومسؤوليات جساماً تتعدى حدود مدينة العين.

يقول بن حم: إن ما أنجزه المغفور له الشيخ زايد حين كان ممثلًا للحاكم في مدينة العين، لم يكن لأحد غيره أن يحققه بنفس تلك الإمكانيات المحدودة جداً.. وتلك الظروف الصعبة التي كانت تضطره أحياناً إلى حد التداين لينفق على الآخرين المعوزين بعد استنفاد أمواله الخاصة.. كل ذلك حتى يرفه عن الناس وينهض بمدينة العين.

ولنتأمل رؤى زايد ومواقفه خلال ما يقرب من ربع قرن ابتداءً من عام 1946 ولغاية عام 1970.. أي قبيل تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة في الثاني من ديسمبر 1971. لقد استطاع أن يحارب في جبهات عديدة وفي وقت واحد..

salem bin ham.indd 174 3/7/19 2:39 PM

بدأ المستحيل يصبح واقعاً ملموساً.. تغييرات كثيرة وتطلعات كبيرة حتى استهوت العديد من الصحفيين العرب والأجانب.. وأخذت كبرى الصحف العالمية تكتب عشرات المقالات عن المنطقة.. وعن الرجل الذي يقود التغييرات.. وغدت مسيرة تلك الحقبة عنوان دراسات معاصرة.. على سبيل المثال ما كتبه راشد عبد الله وهو من الذين نشؤوا في المنطقة ومن أبنائها.. بل هو رجل مسؤول في حكومة أبوظبي آنذاك.. لقد كان عنوان كتابه: زايد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد.. وقد طبع في مطابع روز اليوسف بالقاهرة مطالع السبعينيات.

ولنتأمل رقمين لعامين: 1946 و1966.. عام 1946 عندما أصبح المغفور له الشيخ زايد حاكماً لمدينة العين وقد أحسَّ منذ بداية توليه المسؤولية بقسوة ما يواجهه أبناؤها من ظروف صعبة.. وكانت ندرة المال والماء هي العقبة الرئيسة أمامه.. ولكن النفوس الكبيرة لا تعرف اليأس، وهذا ما فعله الشيخ زايد.. فكر في خطة للخروج من عنق الزجاجة الخانق الذي يعيش فيه أبناء العين، وقرر أن يفجر الماء في قلب الصحراء.. وعام 1966 المنعطف التاريخي في حياة الشعب الإماراتي إذ سبقته ظروف قاسية ألقت بضواغطها النفسية على الآباء والأجداد، أرض صفراء لا تقبل الحياة عليها للأخضر، وبحر

salem bin ham.indd 175 3/7/19 2:39 PM

يموج يزمجر مرة فيلتهم أعزاء.. ويجود مرة أخرى بما يسد الرمق ويلبي الحاجة في أضيق نطاق.. شتات ممزق، فقرر الشيخ زايد: أن الحدود يجب أن تختفي.. والحواجز النفسية يجب أن تتلاشى.. فالجغرافيا لا يمكن أن تهزم العواطف.. وعلامات الحدود لا يمكن أن تقهر الأحاسيس فكان التطلع لتأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة وهذا ما شهده الثاني من ديسمبر عام 1971؛ أروع الإنجازات.. معجزة فوق رمال الصحراء.

لقد كتب رونالد كودراي في مقدمة كتابه: «وجوه من الإمارات»، الذي صدر لأول مرة في عام 2001، والذي يُعدُّ سجلاً تاريخياً مهماً بعدسته للإمارات في منتصف القرن الماضي، والذي بدأ يعمل على إصداره بعد 40 عاماً من ذلك التاريخ حتى وفاته في عام 2000، وكان قد جاء للعمل في الإمارات أواخر الأربعينيات، كتب قائلاً:

> «يحق لشعب دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم، مثل أي شعب آخر أن يفترض أن الطبيعة القاحلة والجرداء والموحشة أحياناً في بعض أنحاء الدولة، كانت كفيلة بجعل حياة البشرية التي نشأت فيها في الماضي حافلة بالصعوبة، فلم تكن

salem bin ham.indd 176 3/7/19 2:39 PM

البيئة القاسية تسمح لأغلبية الناس الذين عاشوا هنا، بالحصول على مستوى حياة يضمن لهم أكثر من الحد الأدنى من البقاء، ومما لا شك فيه أن هذه البيئة أثمرت مجتمعاً شديد الاستقلالية، فرض الدفاع عن الأسرة أو العشيرة أو القبيلة، ضد أي تهديد خارجي لأمنه وممتلكاته الشحيحة. وأنتجت تلك البيئة رجال قبائل يدافعون بشدة عن استقلاليتهم، كما أنتجت أناساً محبين للسلام، سواء كانوا من سكان المواطن المستقرة أو البدو الرحل. وأدى التمسك المطلق لأولئك الناس بديانتهم وأعرافهم القاضية بالدفاع عن القبيلة، إلى نشوء نمط حياة يسوده النبل في أداء الواجب تجاه الذات والأهل وحتى المسافرين. وكانت أجسادهم النحيلة التي تخفي قوة جسدية مشهودة، تعكس حقيقة كونهم طبقة أرستقراطية من البدو الرحل، الذين هم في الحقيقة فرسان الرمال. وكان معظم أولئك الناس أميين مما أدى إلى اعتمادهم الشديد على الكلمة المنطوقة، وكانت ألسنتهم البديلة لأقلامهم وحلّت ذكرياتهم مكان مكتباتهم. وكان فن الكلمة

salem bin ham.indd 177 3/7/19 2:39 PM

المنطوقة يحظى بتقديرٍ كبير يرقى إلى الإعجاب الشديد، مما يسمح باحتلال الشعراء تلك المنزلة الرفيعة بينهم. وإذا تكوَّن لدى القارئ انطباع مفاده أن كلماتي هي مجرد كلمات صادرة عن رجل أجنبي ينسج قصصاً رومانسية عن أحوال شعب ما، فلا يسعني سوى أن أنقل ما قاله زعيم بارز لهذا الشعب. ففي سياق استرجاع أيام الذكريات أيام الحرمان والجفاف والفقر وأحياناً الجوع، كان هذا الزعيم يحثُّ الذين يصغون إليه على التعلم من معاناة وصبر أسلافهم الذين تغلبوا على شظف الحياة، بقوله: «من يجهل ماضيه، لن يفهم حاضره، ولن يستعد لمواجهة المستقبل». لقد صدرت هذه الكلمات عن زعيم ذي أصول قبلية نبيلة، فهم حقيقة المعاناة التي عاشها شعبه في الأيام الخوالي، وعمل بشكل دؤوبٍ على نقله من تلك المرحلة الصعبة إلى مرحلة الازدهار والتطور في عصرنا الحالي، إنه المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان قائد مسيرة النهضة الشاملة».

salem bin ham.indd 178 3/7/19 2:39 PM

إن الجهد المخلص والدؤوب الذي تتميز به مسيرة الإمارات الظافرة.. جعل المستحيل ممكناً.. والحاضر زاهراً.. والتطلع لمستقبل باهر يقيناً.. الضمان في صدق العزم وجلال الطموح إلى العمل المبدع.

لقد صنع الشيخ زايد «طيَّب الله ثراه» تاريخاً خالداً.. تاريخاً حافزاً.. فثمة تاريخ يثقل الفرد أو الأمة، ويشل الحيوية ويضعف الهمة.. وثمة تاريخ آخر يحفز وينشط ويبعث.. وتاريخ الإمارات حافز لأبناء الإمارات والأُمة معاً.. إنه التاريخ الذي تتجلَّى فيه أصالة الشيخ زايد وحكمته وعزيمته وإرادته التي جعلت التطلعات والآمال والأحلام.. حقائق.

salem bin ham.indd 179 3/7/19 2:39 PM

salem bin ham.indd 180 3/7/19 2:39 PM

الصور : وثائق

salem bin ham.indd 181 3/10/19 2:17 PM

salem bin ham.indd 182 3/7/19 2:39 PM

الشيخ زايد وبجواره الشيخ أحمد بن حامد والشيخ سالم بن حم
رحمهم الله

salem bin ham.indd 183 3/7/19 2:39 PM

salem bin ham.indd 184 3/7/19 2:39 PM

الشيخ زايد رحمه الله ويظهر في أقصى يمين الصورة سمو الشيخ
سرور بن محمد آل نهيان وعلى يساره الشيخ سالم بن حم رحمه الله
وخلفه عمير بن معضد رحمه الله أثناء متابعة إحدى الفعاليات

salem bin ham.indd 185 3/7/19 2:40 PM

salem bin ham.indd 186 3/7/19 2:40 PM

الشيخ زايد وسالم بن حم رحمهما الله في رحلة عمل إلى جزيرة صير بني ياس

salem bin ham.indd 187 3/7/19 2:40 PM

salem bin ham.indd 188 3/7/19 2:40 PM

الشيخ زايد ويظهر في أقصى يمين الصورة سالم بن حم رحمهما الله
أثناء فترة الاستراحة مع المسؤولين في المنطقة الغربية - 1980م

salem bin ham.indd 189 3/7/19 2:40 PM

salem bin ham.indd 190 3/7/19 2:40 PM

الشيخ زايد والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم ويظهر في الصورة
الشيخ سالم بن حم رحمهم الله في جولة تفقدية في الامارات
الشمالية - دبي - 1972 م

salem bin ham.indd 191 3/7/19 2:40 PM

salem bin ham.indd 192 3/7/19 2:40 PM

- الشيخ زايد رحمه الله أثناء متابعته لسباق الهجن العربية - بني ياس 25-4-1980 وبجانبه الشيخ سالم بن حم رحمه الله والدكتور مانع سعيد العتيبة

salem bin ham.indd 193 3/7/19 2:40 PM

salem bin ham.indd 194 3/7/19 2:40 PM

الشيخ زايد وسالم بن حم رحمهما الله في رحلة بحرية

salem bin ham.indd 195 3/7/19 2:40 PM

salem bin ham.indd 196 3/7/19 2:40 PM

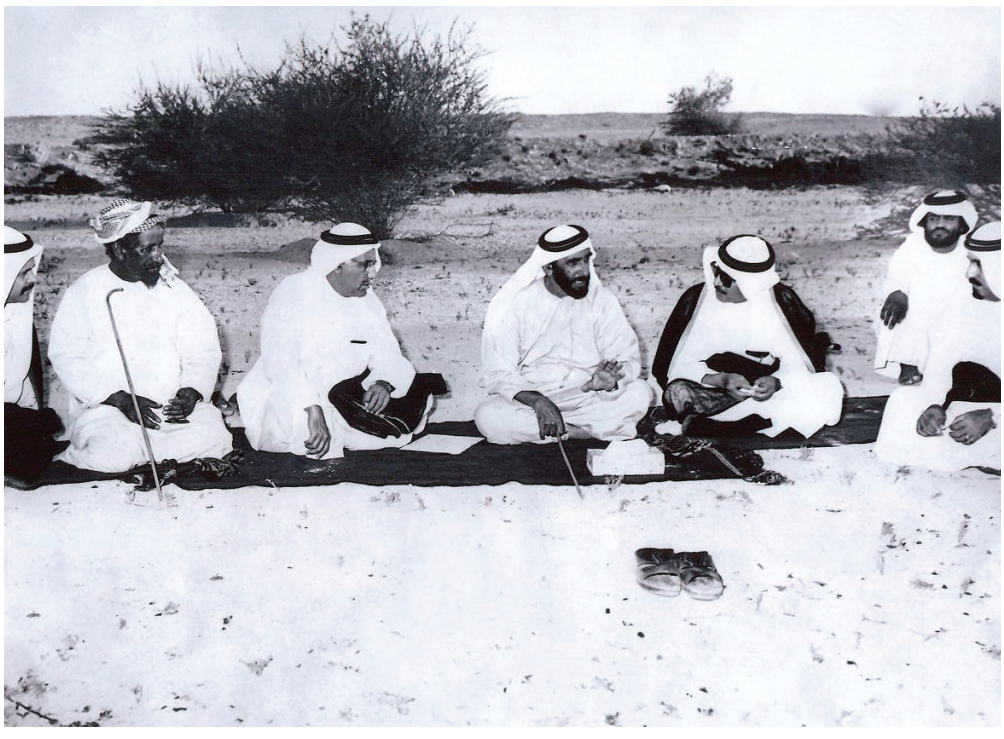

الشيخ زايد والشيخ سالم بن حم رحمهما الله أثناء إحدى الجلسات البرية

salem bin ham.indd 197 3/7/19 2:40 PM

salem bin ham.indd 198 3/7/19 2:40 PM

الشيخ زايد وسالم بن حم وفي أقصى الصورة محمد المزروعي وغدير
بن سويد المنصوري رحمهم الله – 1976 م

salem bin ham.indd 199 3/7/19 2:40 PM

salem bin ham.indd 200 3/7/19 2:40 PM

الفصل الرابع

حكايات ودلالات

salem bin ham.indd 201 3/10/19 2:18 PM

حكايات ودلالات

الشيخ سالم بن حم العامري رحمه الله و الشيخ مسلم بن سالم بن حم العامري مع المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه.

الراوي الشيخ مسلم بن حم العامري

فراسة الكلام

لقد أكسبت السنوات الطوال العلاقةُ الحمّيمةُ بين الشيخ زايد رحمه الله ووالدي طريقةً مميزةً في التعامل؛ فقد كانا يتحدثان ولا يفهم أحدٌ مغزاهما، ومن الصعب فَهْم ما يقصدان من التفاهم بالألغاز.

وكان يخبرني عنها والدي لاحقاً، وهذا خيرُ دليل على عمق فهمهما لبعضهما بعضاً، والمواضيع التي يتحاوران حولها، وفي بعض المجالس يدور حديث يفهمه من لديه فِطنة، وفي الحديث رسالة ما موجهة لشخصٍ بعينه في المجلس ولا

salem bin ham.indd 202 3/10/19 2:24 PM

يذكرونه باسمه، ولكنهم يأتون بكلام يهتدي به الشخص المقصود؛فيقول والدي للشيخ زايد رحمّه اللّٰه: يازايد - كانت علاقتهما أخويّة بعيدة عن الرسميات- فكان يناديه باسمه مباشرة يقول له: يا زايد، لقد وضعت شخصاً ليتعلم من الحصان بعض صفاته، ولكنه لم يتعلمها! فيرّد عليه الشيخ زايد: يا سالم، نريد منكم مهلة لشهرٍ واحد إذا تم المطلوب سَنَدعُ الأمرَ إلي ما ينتهي إليه؛ لاستحقاق الشخص، وأن ظلّ على حالته سُنعيد الأمور إلى سابق عهدها. فإن كان بين الحاضرين شخص يُقصد بالحديث وكان يقظاً فطن و أدرك المغزى من هذا الحوار؛ فهي حِكَم يُستفاد منها كثيراً؛ فإذا تمعَّنا في التشبيه والكناية، واستخدامات اللغة ومعانيها لقرأنا بين السطور؛لذا كان المجلسُ فرصة التعليم الذي شمل الجميع.

تحلى الشيخ زايد رحمة اللّٰه بالحكمة وامتلك مفاتيح معارف كثيرةٍ، وكان لوالدي فراسة مكَّنَتْه من فهم الشيخ زايد، وجسّ مشاعره، وإنْ كان في خاطره أمر لا يفصح عنه، فإن والدي يشعر به.

فلم يخلُ مجلسهم قط من الحوارات، التي كانت كلها تدعو للإصلاح واغتنام فرصة العلم.

salem bin ham.indd 203 3/7/19 2:40 PM

حكمة الوالد

وأذكر أنه في فترة من الفترات كانت بعض الدول مرّتْ بمشكلات فكان المسؤولون يقومون بزيارة الشيخ زايد؛ لاستشارته، والأخذ برأيه، وذات يوم كان والدي حاضراً فسمع منه الشيخ زايد ما أثلج صدره؛ إذ قال للشيخ زايد: يا زايد، فيجيبه – رحمّه الله – نعم يا ابن حمّ تكلم «فقال والدي: نريد منك أن تُبلِغَ الضيفَ أن يُسلِّمَ على رئيسه، ونتكافى أذى اهل الشر؛ ففرح بذلك الشيخ زايد، وقال لضيفه: هل تسمع ما يقوله سالم؟ فرد الضيف: نعم، سمعته؛

لقد كانت العلاقة مباشرة وخالية من المجاملات، فالإنسان المطمئن لا يخشى من الحديث، خاصة عندما يكون هدفه الإصلاح؛ فالمغزى يظل حتى عندما يعجز المفسرون عن تفسيره بصورة صحيحة، ويعتبر البعض أن المواعظ لا تعنيهم، أو لا تقع مسؤوليتها عليهم.

وكان الشيخ زايد مستمعًا جيدًا؛ يأخذ الرأي ممن حوله من مسؤولين، ومن ذوي الاختصاص، أو من مُحِبٍّ تَهمُّه المصلحة العامة.

salem bin ham.indd 204 3/10/19 2:27 PM

تلغيز الكلام وفراسة الإلهام

أذكر أنّا كنا في قصر المقام، ومجلس الشيخ زايد عامرٌ، ومن عاداته رحمّه الله، أن يُتيحَ المجال للتعبير عن الرأي، والحديثَ في الموضوعات المفتوحة في المجلس.

ومن طبع الوالد أن يتكلم بكلام يحلله الشيخ زايد، فقال والدي: قولوا يا الله، فقال كل مَن في المجلس: يا الله – فقال: يعل زايد لا يموت ولا يغرم قال له زايد :سالم، انا لا أستشيركم؟! – فرَّد الوالد: يا زايد، أنت تستشيرنا، لكن عليك أن تُجـرِّبنا أعطِنا حديثاً أو قصة مخالفه وانظر ماذا سنقول لك! يا ليتنا، نسكت، بل نقول لك: صحيح. ؛ فطلب منه الشيخ زايد أنْ يشرحَ المقصود من هذا الحوار، فرد الوالد: سأشرحها لهم؛ بناءً على توجيهاتك، أما أنت فقد فهمَتها.

فقال والدي: يا زايد، إنْ مِتَّ خسارة كبيرة، وإن أصابك الجنونُ فليس بيننا مَن يردَّك!

والحكمة في هذا الموقف أن كل ما يقوله الشيخ زايد صحيح، فالمرء إذا تعوَّدَ من شخصٍ أن يكون صائباً طوال الوقت يُصّدقُه حتى وإن اختلفتْ حالته ، فالجميع يعرف صِدقَ ما يقوله زايد وصحته. فكان الشيخ زايد كلما كبر

salem bin ham.indd 205 3/10/19 2:28 PM

سناً ازداد حكمة، وهذا ما يردده كل مَن عرف الشيخ زايداً، وقد اهتمَّ بالعمل أكثر من ذي قبل.

فترة الظهيرة

أذكر ذات مرة أن الساعة كانت تشير إلى الواحدة والنصف ظهراً وكنت برفقة والدي لزيارته، فوجدناه في طريقه إلى الخارج، فلما رأى الوالدَ أوقفَ السيارة، فترجلنا من سيارتنا، وذهبنا للسلام عليه فقال: تفضلوا، وانتظرونا في الداخل سنأخذ جولة سريعة ونعود إليكم، فقال له الوالد: يا زايد، إنها فترة الظهيرة، والعمل ما يخلص.فقال الشيخ زايد: "يا سالم، والمشاغل كثيرة، والذي يحب العمل سيجد ما يقوم به".

حوار الوالد ومحمد بن زايد

ذات مرة بعدما توفي الشيخ زايد رحمّه الله شرَّفَنا صاحب السموّ الشيخ محمد بن زايد وفقه الله بزيارة للوالد، وهو من محبي الوالد، وعندما همَّ بالرحيل قال للوالد: هل في خاطرك شيء يا سالم؟ ؛ فقال والدي: نعم، في خاطري شيء يا محمد، فقال الوالد: في خاطري أن تحذوا حذوَ زايد،

salem bin ham.indd 206 3/10/19 2:28 PM

وألا يأتيكم المستشارون بمشورة تختلف عن رؤية زايد.

طريق زايد هو الطريق الذي تمشي عليه، وتتبعه؛ فردَّ محمد بن زايد أطال الله عمره قائلاً: ان شاء الله يا سالم، سنتبع طريق الوالد والله يعنا على ذلك، وحقيقة فالشيخ محمد محظوظ لرفقة والده حتى أصبح صاحب السموّ الشيخ خليفة بن زايد و صاحب السمو الشيخ محمد زايد وجميع أبنائهم شركاءَ في القيادة الحكمية، والسير على الطريق السليم.

المقناص

وأذكر عندما كنا في المقناص، وكانت ترده الرسائل والأخبار كان رحمّه الله في الليل يقوم بتسليط ضوء المصباح اليدوي "بجلي" عليها ليقرأها، إذ لم يكن في المقناص كهرباء وأنوار في تلك الفترة، وبمجرد علمه بمحتوى الرسائل أو الأخبار، كان يُجري الاتصال، وتُحل المشكلة مهما كان حجمها بلا تأخيرٍ أو تعطيل.

salem bin ham.indd 207 3/10/19 2:29 PM

مجلس الشيخ زايد

عندما ضعف نظر والدي أواخر عمره،أصبحت بجانبه في كل جلساته بمجلس الشيخ زايد، فكنتُ عندما يحضر أحد الشيوخ الأكبر سناً ومقاماً؛ فإنني أنهض تاركاً له المكان لأجلس أنا بعيداً، فكان الشيخ زايد يقول لي: لا تذهب، دَعْكَ بجانب سالم ، وكنت أستجيب وأبقى في مكاني فأسمعُ حديثَ خيرٍ، عن الوطن أو عن الصديق.

الشيخ زايد هو المهندس

كان الشيخ زايد رحمه اللّٰه هو المشرف إذ لم يكن هناك استشاريون أو خبراء، بل كان هو المهندس، وأذكر كيف كان يخرج في الصباح الباكر ويذهب إلى حيث يعملون في الأفلاج، و يعود وقتَ الظهر. كان يؤمّـِنُ لهم بنفسه ما يحتاجونه من طعام وشراب، فقد كان كل شيء صعبَ المنال حينئذ،فوجود الماء كان شحيحاً إلا من الآبار،ومَن كان لديه «فرغ» فكأنما لديه آلة أو جهاز لسحب الماء كالمتوافرة في وقتنا الحالي، ثم جاء الخير متتابعاً.

salem bin ham.indd 208 3/10/19 2:29 PM

النخيل

عُـرِف الشيخ زايد رحمه الله باهتمامه المتناهي بكل شيء؛ فما بالك بالنخلة؟! وذات مرة جئنا له بمقترح لطريقة حديثه لزراعة النخيل، وهي عبارة عن استزراع الفسايل عن طريق الأنسجة. فالمعتاد في تكاثر النخيل حينئذ بفصل الفسيلة عن النخلة الأم، ثم زراعتها.

فاتفقت مع شركة تعمل في هذا المجال على أن تنتج الأنسجة في بريطانيا، وما أثار إعجابي هو أن هذه الشركة كانت تعمل في مجال استزراع الفواكه، ومن حُسْن حظنا أنْ أخذَت الشركة الفسايلَ فعالجتْها لتتكاثر عن طريق الأنسجة، وتعاقدتُ مع الشركة،وأحضرت الفسايل التي زرعناها في العين؛ فذهبتُ إلى الشيخ زايد، وكان في قصر المقام وقلت له: يا طويل العمر، لدي مشروع أودُّ أن أخبرك عنه فسألني: وما هو المشروع؟ فقلت له: النخيل، فقال:"والنِّعم.. مِدْها" وصافحني واحتفظ بيدي في يده وهو يقول: «وما أدراكَ أني أريد ثلاثة ملايين نخلة؟" فقلت له: أبَشّرك؛ نحن الآن قادرون على توفير العدد الذي تطلبونه والنوع الذي تريدونه، فقال لي:"هل لديك ورقة؟" قلت: نعم، فأخذت الورقة

salem bin ham.indd 209 3/10/19 2:30 PM

والقلم، وسار يعدّ عليَّ ما يزيد عن ثمانية أصناف من الأنواع الممتازة من النخيل. كتبت ما طلبه، وبعد أسبوعين أحضرتُ له الطلبية؛ فرأى الفسايل وبدت له صغيرة فقال لي: "يا مسلم، ألم تسمع عن المثل الذي يقول لا تأخذ الحريمة ولا تزرع الصريمة فقلت له: نعم، يا طويل العمر، فقد صَدقَ هذا المثل لكن هذه الفسايل بالأنسجة، وهي ليست من الصرم، فاقتنع بهذه الطريقة رحمه الله وقال: أخرجوا هذه الفسايل الصغيرة من عُلَبِها وضعوها في علب أكبر، وعندما تكبر أخبرونا". ونفعتني فكرتُه، فوضعناها في علب بلاستيك أكبر حتى تنمو.وقمنا بزراعة حوالي أربعة آلاف نخلة،لكننا احتجنا مساحة كبيرة من الأرض؛ فمِنَ العلب الصغيرة تحوَّلت تلك الفسايل إلى علب كبيرة؛ فاحتاجت مساحةً أكبرَ، لقد امتثلت لتوجيهات الشيخ زايد -رحمّه الله- وفعلاً بدلاً من أن تستغرق الفسيلة سنة للنمو استغرق نموها ستة أشهر فقط لتصل لحجم المطلوب.كانت له نظرة في كل شيء، وليس في زراعة النخيل فحسب، فحبه للزراعة حَدَّ من قطع الأشجار؛ فلا يمكن قطع الغاف- مهما بدا تأثير وجودها سلبياً- إلا بإذنه، ويُفضِّلُ هدم بناية على قطع شجرة.

salem bin ham.indd 210 3/7/19 2:40 PM

التأخر عن زيارة الشيخ زايد

و ذات مرة تأخرتُ عن زيارة الشيخ زايد ولم أرَهُ فترة غيرَ قصيرة، وعندما زرتُه في قصر البحر؛ قلتُ له: سامِحْني يا طويلَ العمر، إنَّما أخَّرَني عن الحضور إليك هو التزامي مع الوالد،فردّ قائلاً: يا مسلم لسالم حقٌّ علينا، ولولا وجودك لوضَعْنا من يعتني به.

قصة الحلوى بين الشيخ زايد والشيخ سالم

من عادة الشيخ زايد بن سلطان رحمة اللّٰه عليه جلوسه مع محبيه ومحادثتهم والاستماع إليهم.

وفي احدى هذه الجلسات سأل الشيخ زايد بن سلطان الشيخ سالم ابن حم (رحمة اللّٰه عليهم جميعا) عن الحلوى العمانية يريد رأيه فيها، حيث كان الشيخ زايد يستأنس برأي ابن حم

فقال: (وش تقول يا سالم في الحلوى)

فرد الشيخ سالم بلهجته البدوية قائلا: (في العيشة ماشي أحلى من الحلوى، وفي العرب ما أحد أخير منك يا زايد)

فصفق الحضور على رد الشيخ ابن حم ومن بينهم حاكم راس الخيمة في ذلك الوقت الشيخ صقر بن محمد القاسمي رحمة اللّٰه عليه.

salem bin ham.indd 211 3/10/19 2:30 PM

فكان مقصد ابن حم بأنه لا يوجد ما هو اطيب من الحلوى في الطعام ولا يوجد في العرب من هو أفضل من زايد في الكرم والعادات الطيبة والاخلاق الحميدة، فقد جمع الشيخ زايد الصفات التي حث عليها ديننا الحنيف من مكارم الاخلاق والتواضع وأساس القائد والحاكم.

رحلات المقناص

في إحدى رحلات المقناص مع الشيخ زايد رحمة الله عليه خرج الشيخ زايد مع مرافقيه للقنص وكان معهم الشيخ سالم بن حم.

كانت أوامر الشيخ زايد بأن لا يطلق من كانوا معه في السيارة من الصقارين صقورهم إلا بإذنه.

وكان أحد رجال الشيخ زايد قد أطلق طيره قبل أن يأذن له الشيخ زايد، ومما أساء الأمر؛ ضياع الطير.

وكان المتعارف بين الصقارة أنه من أضاع طيره يفترق عن الجماعة لكي ينادي على طيره ويسترجعه فهي تحتاج الى وقت طويل لكي يتمكن من استرجاعه.

وكان هذا قريب من وقت المغرب حين انطلق الشيخ

salem bin ham.indd 212 3/10/19 2:31 PM

زايد ومرافقيه عائدين نحو المخيم، تاركين هذا الرجل وراءهم ليبحث عن طيره وإسترجاعه.

وإذا هم في الطريق سأل الشيخ زايد مرافقيه الذين معه قائلا:

من هو غلطان فينا أنا يا الرجال ؟؟؟

يريد أن يعلم إجابة مرافقيه مما وقع فيه الرجل من خطأ وتركه ليبحث عن طيره ولكي يعلم من يصدقه ومن يجامله فقال:

فرد الجميع موافقين الشيخ زايد بأن الرجل أخطأ، وكان ابن حم صامتا لم يتكلم.

فقال الشيخ زايد سائلا ابن حم: ما رمست يا ابن حم؟؟

فحين وجه الشيخ زايد سؤاله ابن حم رد ابن حم قائلا:

خوي زايد ما يستاهل ينترك.

فعندما سمع الشيخ زايد جواب ابن حم رجع عائدا الى الرجل لكي يحمله ومنها تأكد الشيخ زايد بأن ابن حم قد ربح الاختبار الذي أعده.

salem bin ham.indd 213 3/7/19 2:40 PM

قصة البوش والزراعة

من عادة الشيخ زايد بن سلطان رحمة الله عليه كانت مداومته في تفقد مناطق إمارة أبوظبي، وفي إحدى الأيام كان خارجا في سيارته مصطحبا معه الشيخ سالم بن حم في إحدى جولاته الإستطلاعية، وبينما هو في جولته لاحظ في طريقه تجمع الإبل في الأماكن المخصصة لتزين الشوارع بالمزروعات تأكل من أشجار النخيل، فتضايق الشيخ زايد من صاحب الإبل ولتَرْكِه لإبله سائبة في الشوارع وعلى ما قامت به من تخريب وتشويه الزرع، فقام الشيخ زايد بالاقتراب منها وإبعادها من مكان تجمعها بسيارته.

حينها قال الشيخ ابن حم:

((يا زايد سلِّمنا من دعو راعيهن، الحين راعيهن يقول والله لخبر عليكم زايد))

فرد الشيخ زايد:

((يا أبن حم احنا نزرع ونراعي ولكن هم ما يراعون بوشهم ولا يهتمون باللي زرعناه))

فرد ابن حم قائلا: ((أنت يا زايد أبو الجميع ولولاك

salem bin ham.indd 214 3/10/19 2:32 PM

ما انزرع شيء ولا راعي البوش أمَّن على بوشه))

روح الوحدة والتآخي بعد الاتحاد

كان قبل تاريخ الثاني من ديسمبر لعام الف و تسع مائة وواحد وسبعين، تواجد لسبع إمارات لكل منها حدودها،علمها، وشيخها الذي يدير دفة الحكم فيها و كانت هذه الامارات السبع في تنافس مستمر في جميع المجالات السياسية و الجغرافية و التجارية، إلى أن قام الأخوان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان و الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكما إمارة أبوظبي و دبي بالتعاون مع إخوانهم حكام الامارات الخمس الأخرى بوضع اللبنة الأساسية التي قامت عليها دولة الامارات العربية المتحدة، وكان لسالم بن مسلم بن حم العامري الدور الفعال في تقريب وجهات النظر في الأمور التي دب الاختلاف فيها .

وفي إحدى الأيام التي تلت قيام الاتحاد كان الشيخ سالم بن حم في طريقه متوجها من العين إلى أبوظبي لزيارة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في قصر البحر كعادته.

وبينما هو في طريقه لمقابلة الشيخ زايد، كان الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم متوجها من إمارة دبي إلى أبوظبي

salem bin ham.indd 215 3/10/19 2:33 PM

لمقر رئاسة الوزراء لحضور إحدى الاجتماعات المقررة، وقبل وصوله إلى مقر الاجتماع قصد الشيخ راشد قصر البحر مقر الشيخ زايد للسلام عليه.

وعندما دخل ابن حم مجلس الشيخ زايد بادر أولا بالتوجه إلى الشيخ زايد ومن ثم توجه إلى الشيخ راشد للسلام عليهم.

حينها قال الشيخ زايد مداعباً ابن حم:

الجييه حقنا يا حق راشد

فرد الشيخ سالم بن حم:

ماكنت أظن يا زايد إنا بنتواجه او بنقعد في مكان واحد، ولكن أحمد الله على هذا اليوم المبارك الذي توحدت الإمارات وقدها محبتك ومحبة الشيخ راشد عندي وحده.

العور ما ينضم

كما هي العادة في محبة الشيخ سالم بن حم للشيخ زايد بن سلطان الرفقة الطيبة التي بينهم

كان ابن حم يوما في مجلس الشيخ زايد يشاكيه في فقدان النعمة العظيمة التي منحها الله لعباده وهي نعمة

salem bin ham.indd 216 3/10/19 2:33 PM

البصـر فهـي مفتـاح الحيـاة والتعلـم والتمتـع برؤيـة جماليـات الحيـاة.

فمن معزة الشيخ زايد لابن حم، أراد الشيخ زايد أن يواسي رفيقه ابن حم ويخفف عنه مرارة هذا الفقدان الأليم قائلا:

يا سالم لا تهتم مجلسنا هذا كلن عنده ضميم.

فرد ابن حم:

يا زايد كل شيء ينضم ياغير العور ما ينضم ، إذا أقبل عليك العور أنكرته.

فهو صادق لأن الأعمى يُعرَف من أول وهلة أما باقي الأمراض والعلل والهموم فللإنسان القدرة على إخفائها وكتمانها.

الله يكفينا شر أهل الشر

بعد احتلال الكويت أرسل الرئيس العراقي صدام حسين مبعوثه (وزير الخارجية) إلى دولة الإمارات لزيارة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان للتباحث معه في أمور المنطقة.

حينها استقبله الشيخ زايد في مقر إقامته في قصر

salem bin ham.indd 217 3/10/19 2:34 PM

البحر بحضور الكثير من الشيوخ وممثلي الدولة ومن بينهم الشيخ سالم بن حم العامري.

وبعد الترحيب بالضيف والشروع في صب القهوة وقبل البدء بالمحادثات، قال الشيخ ابن حم موجها الكلام للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والوزير العراقي:

يا زايد بغينا منك تخبر الضيف يسلم على صدام، ويكافينا شر أهل الشر، وإن كان عنده ضميم يعطيهم إياه، (قصد الشيخ سالم بن حم بالضميم هي الأسلحة الكيماوية التي زُعِمَ بأن الرئيس صدام قد أخفاها).

تجاوب الشيخ زايد برأي ابن حم وبلغ الضيف بمضمونها بعد أن أشاد عليها حين قال:

رأي سالم رأيٍ سديد.

فتوجه وزير الخارجية إلى الشيخ زايد متسائلاً عن صاحب الرأي، فعرَّف الشيخ زايد عن ابن حم وعن قبيلته، (قبيلة العوامر) التي تعتبر من أهم القبائل التي تتواجد على أرض الدولة.

حينها ذكر وزير الخارجية العراقي بأن هناك وجوداً لقبيلة العوامر في العراق ولها ثقلها ومكانتها بين القبائل الأخرى.

salem bin ham.indd 218 3/7/19 2:40 PM

الرد المفحم والجواب المسكت

يعرف عن الشيخ زايد بالكرم وحب العطاء، ومن محبته لإخوانه وأصحابه كان يداوم على تناول الطعام معهم.

وكانت هناك مأدبة في أحد قصور الشيخ زايد حضرها الكثير من محبيه وخاصته، وعندما وُضِعت صيانـي الطعام، وبينما هم في وسط الوليمة إذ قال أحد الحضور موجهاً الكلام للشيخ ابن حم:

ما تخوز عن ذي الصينية يا بن حم

وكان مقصده إحراج الشيخ سالم.

فما كان من الشيخ سالم وسرعة بديهيته وردوده المفحمة المسكتة رده الذي اسكت بها الرجل حين قال:

ذي الصينية ما عرف صينية غيرها.

وهذا تلميح ظاهره يخفي باطنه وهذه من الحنكة والدهاء التي أنعم الله بها على الشيخ سالم بن حم التي بينت للجميع أن ولاءه للشيخ زايد فقط.

salem bin ham.indd 219 3/10/19 2:34 PM

قصة العقرب وحب زايد

قصة يرويها الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان على لسانه بأنه في احدى رحلات القنص الى دولة باكستان كان الرجال يجتمعون حول المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وكان من ضمن المجموعة الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان والشيخ سالم بن حم.

وفي وقت تناول وجبة العشاء تجمع الرجال حول الشيخ زايد وفي هذه الاثناء قفز الشيخ سالم منبها الشيخ زايد بأنه يوجد عقرب قبصه وتحرك نحوه ويجب قتله قبل الوصول إليه ويؤذيه.

فقال أحد الرجال الذي كان جالس بجوار الشيخ سالم بن حم:

قمت وثرت وترست عشانا تراب والعقرب قبصني قبلك ولا سويت سواتك.

فرد عليه الشيخ ابن حم:

عثرت يالمعثور.... لو سويت سواتك كان قبص زايد

وفي الحقيقة تتجلى محبة ابن حم للشيخ زايد في هذا

salem bin ham.indd 220 3/10/19 2:35 PM

الموقف، فهو لم يقفز قبل أن يلدغه العقرب خوفاً من الأذى ولكنه قفز بعد أن لدغه العقرب وتبين له أنه يتجه نحو الشيخ زايد، ولو صبر وتحمل أذى العقرب ولم يحرك ساكناً لكان العقرب وصل الشيخ زايد، وفي ذلك أسمى صور المحبة للدفاع عن الشيخ زايد وإبعاد أي نوع من أنواع الأذى الذي قد يصيبه.

قصة ألمانيا وحب الوطن

في إحدى سفرات الشيخ سالم بن حم الى ألمانيا للعلاج كان الكثير من محبينه يتصلون عليه للاطمئنان عليه وعلى مجريات العلاج ونتائج الفحوصات، وكان الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان من أكثر الرجال اتصالا ومحبة، وكانت هذه السفرة في فترة الصيف.

وفي إحدى الاتصالات التي تلقاها الشيخ أبن حم من الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان طلب الشيخ طحنون من ابن حم قائلا:

يا سالم لا تعزم على الردة أبطي عندك بقعتنا حر.

(قاصدا بأن فترة القيظ وارتفاع حرارة الجو مازالت

salem bin ham.indd 221 3/10/19 2:36 PM

تضرب أجواء دولة الإمارات، وطلب منه التأخر في العودة من ألمانيا إلى أن يعتدل الجو، خوفا عليه من شدة الحر وتضرره من لهيبها)

فرد عليه الشيخ ابن حم قائلا:

يا طحنون الجو بنشغله المكيف وبيبرد، ولكن القلب بنشغله ويش

خير الأمور أوسطها

كان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمة الله عليه يتأخر في بعض رحلات المقناص، حيث يمكث أكثر من شهر لما فيها من تهوية للنفس ومستراح للخاطر.

وفي إحدى رحلاته إلى خارج الدولة بجمعة من أصدقائه ومحبيه ومن ضمنهم الشيخ سالم بن حم رحمة الله عليهم جميعاً، قد أبطأ في المقناص، فأشار عليه ابن حم قائلا:

يا زايد أخير تتكفون وعدكم هاوين المقناص.

وفي عبارة الشيخ ابن حم إشارة بأن المقامة في المقناص قد طال ولكنه بحنكته ونباهته لم يعرض فكرته على الشيخ زايد مباشرة ولكن غلفها بأسلوب جميل وسلس كنصيحة

salem bin ham.indd 222 3/10/19 2:36 PM

حيث أنه يعلم بأن الشيخ زايد يحب المقناص وبذلك نبهه بأن الإطالة في هذه الهواية قد تشبع نفسه.

فقد قيل في باب الحكمة: خير الأمور أوسطها.

فهذي حقيقة إذ إن الإنسان إن تعوّد على شيء بدأت نفسه من التشبع منه ومقته.

الدين يسر وليس عسراً

في إحدى السنين قام صاحب السمو المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بأداء فريضة الحج واصطحب معه عدداً من رجالات الدولة وكان من بينهم الشيخ سالم بن حم العامري.

وخلال أداء المناسك دار نقاش بين صاحب السمو الشيخ زايد رحمة الله عليه والقاضي في إحدى المسائل المتعلقة بمناسك الحج، وكان هناك تباين في الرأي.

وكان الشيخ ابن حم وباقي الرفقة مجتمعين حول الشيخ زايد مستمعين للحوار الدائر بين الشيخ زايد والقاضي، فلاحظ الشيخ سالم انشغال فكر الشيخ زايد ولقرب العلاقة بينهم وتقارب الأفكار ومعرفة كلٌ من الآخر ما يدور في بال

salem bin ham.indd 223 3/10/19 2:37 PM

صاحبه، قام الشيخ سالم بن حم بمخاطبة بقية الرفقة من كانوا معه في رحلة الحج بعيدا عن النقاش الدائر بين الشيخ زايد والقاضي وقال لهم:

أنا سوف أعرض فكرة على صاحب السمو الشيخ زايد والقاضي وأرجو منكم موافقتي ودعمي في قولي.

فأشار الجميع بالقبول، فذهب الشيخ ابن حم نحو الشيخ زايد والقاضي وأشار لهم بفكرته مدعماً حجته بأن الدين يسر وليس بدين عسر ولا يحمّل الله عباده بما لا طاقة لهم فيه ورفقة بباقي الحجيج مما سوف يلحق بهم من تبعات، فقال:

يا زايد اليوم بينا من بعيد وبغينا الأجر والقاضي رأيه على وقت الرسول ولو كان الرسول عليه الصلاة والسلام بينا كان سهل لنا الدروب، وإذا مشينا على رأي القاضي بيتأذون الحجاج من العسكر المرافقين لموكبك وبيضيقون عليهم وبدل الأجر بيكون إثم.

فقد أوضح الشيخ سالم بأنهم أتوا لأداء فريضة الحج ابتغاء الأجر والثواب، وهذا واقع ما نراه اليوم من كثرة التسهيلات التي تقوم بها حكومة المملكة العربية السعودية جزاهم الله كل خير لرفع المشقة عن الحجاج وتسهيل أداء فريضة الحج. ومن

salem bin ham.indd 224 3/7/19 2:40 PM

باب قول الله تعالى في كتابه الكريم من الآية 16 من سورة التغابن (فاتقوا الله ما استطعتم) كما نرى تيسير كثير من الأمور من قبل علماء الفقه وأصحاب الفتاوى الصادقة.

فكانت فكرة الشيخ سالم بن حم سديدة متوافقة وداعمة لرأي صاحب السمو الشيخ زايد رحمة الله عليهم جميعا.

كما نجد من هذه القصة توافق الأفكار بين الشيخ زايد بن سلطان وابن حم رحمة الله عليهم جميعا فقد قال رسولنا الكريم عليه ألف الصلاة والتسليم:

الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

أو كما قال أبو نواس:

إن القلوب لأجناد مجندة لله في الأرض بالأهواء تأتلف

فما تعارف منها فهو معترف وما تناكر منه فهو مختلف

المحبة مفتاح السرور

في فترة حكم الشيخ زايد لمدينة العين وقبل تولية حكم

salem bin ham.indd 225 3/10/19 2:38 PM

إمارة ابوظبي كان مقر حكمه في حصن الجاهلي وكان العرب يتوافدون على سموه ويجتمعون أمام ساحة الحصن لمجالسة سموه وكانت هذه العادة مستمرة حيث كان الشيخ زايد رحمة اللّٰه عليه قريباً من الناس محباً لهم يستمع إليهم ويسد حوائجهم.

وبسبب شظف الحياة وصعوبتها هاجر كثير من العرب إلى الدول المجاورة ومنهم من دخل البحر للعمل في مهنة الغوص فتفرق العرب وقلت زياراتهم وتجمعهم عند الشيخ زايد، مما أضاق بصدر سموه وحزن على هذا الأمر.

وكان صاحبه ورفيق دربه الشيخ سالم بن حم العامري مازال في ملازمته ولم يتخلَّ عنه فأحس بما في الشيخ زايد من ضيقة بال.

فقال الشيخ ابن حم:

أبشر يا زايد البدو مازالوا متواجدين ولكنهم في أماكن متفرقة يتتبعون المراعي لمواشيهم.

فما كان من الشيخ سالم بن حم إلا أن استدع البدو وطلب منهم التوافد عند الشيخ زايد كما كان حالهم في السابق ففرح البدو عندما علموا بمعزتهم ومكانتهم عند الشيخ زايد.

salem bin ham.indd 226 3/7/19 2:40 PM

وفي صباح اليوم الثاني وكعادة الشيخ زايد وخروجه من الحصن لمجالسة العامة من الناس تفاجأ بتوافد البدو من العوامر وغيرهم من القبائل الأخرى من هم لبوا رغبة زايد في الوجود حوله.

وهذا دليل صادق يبين قوة المحبة التي يكنها أفراد القبائل للشيخ زايد ومحبة سموه لهم، كما تبين مكانة الشيخ سالم بن حم عند جميع أفراد القبائل وتفانيه لإدخال الفرحة والسرور في قلب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

شجاعة وحنكة

قبل قيام اتحاد الإمارات السبع وفي حين كان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ممثلاً عن الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان في العين، كانت عقبة ترسيم الحدود تثير بعض المشاكل مع بعض القبائل المحيطة بمدينة العين، وكانت القوة البريطانية المرابطة في كحل (وهي منطقة واقعة قريباً من واحات العين والبريمي) تؤدي دورها في الحفاظ على الأمن بين القبائل بموجب المعاهدات الموقعة بين جميع الأطراف.

وكان حينها الشيخ سالم بن حم العامري مقيماً في منطقة مساكن الرملية، ولشهرة الشيخ سالم بن حم بين

salem bin ham.indd 227 3/10/19 2:39 PM

قبائل البدو، وصله خبر بأن أسلحة من البنادق والذخيرة محملة على ظهر قافلة من الأبل قادمة من ساحل دبي سوف تعبر المنطقة ليتم توصيلها إلى بعض القبائل التي بدورها سوف تستخدمها لإثارة المشاكل.

وبينما كان الشيخ سالم بن حم جالساً بين الكثبان الرملية في مساكن، وكان معه أحد أفراد قبيلة العوامر، وإذا به يسمع خبيب القافلة وأصوات مهربي الأسلحة وهم مقبلون على موقعه، فتوارى عنهم خلف أحد الكثبان وطلب من العامري الذي كان معه الصعود إلى أعلى أحد الكثبان الرملية ويتوارى، مُظهراً لأصحاب القافلة بأن هناك في خلف الكثيب أشخاصاً مستعدين للهجوم عليهم إذا بدر منهم الغدر، فصاح الشيخ سالم بصوته الجهوري معرفاً بنفسه بأنه سالم بن حم العامري، وعندما تعرفوا عليه ظهر عليهم وبندقيته في يده وقال لهم:

الشيخ زايد والعسكر الإنجليز دروبكم وعارفين عنكم وإذا ودَّكم سلامة روسكم نزّلوا كل السلاح المحملينه على ظهور النوق في ذي المكان، وسلاحكم وركابكم خذوهن، اسمعوا شوري إن بغيتوا السلامة وردّوا على ثركم ولا بثور بندقي ونقعته بتجمع من هم عندي والعسكر حولكم.

salem bin ham.indd 228 3/7/19 2:40 PM

فاستجاب أصحاب القافلة لمطلب الشيخ سالم بن حم وتركوا الأسلحة (البنادق والذخيرة) ورجعوا من حيث أتوا.

ترك الشيخ ابن حم من كان معه عند الأسلحة بعد أن تأكد من صدق نواياهم، حينها كان الشيخ زايد بن سلطان في العين فأطلعه على الخبر.

وفي اليوم الثاني وصل الشيخ زايد مع العسكر يقودهم بيتر كلايتون الضابط الإنجليزي لقوة ساحل عمان لتفقد الأسلحة التي استولى عليها الشيخ سالم بن حم، فوجدوا الأسلحة من بنادق وذخيرة سليمة وكاملة.

واستسمح ابن حم الشيخ زايد لتركه أصحاب القافلة مع أسلحتهم وركبانهم أن ينسحبوا ويعودوا من حيث أتوا.

فقال الشيخ زايد حينها لسالم بن حم:

يا سالم شل من السلاح ما تريده، وسلِّح من تريده من جماعتك.

فرد عليه الشيخ سالم بن حم:

يا زايد اليوم الجماعة جماعتك ما عندي جماعة من دونك

قاصداً بأنه وقبيلة العوامر بجميع رجالها هم رجال الشيخ زايد وموالوه.

salem bin ham.indd 229 3/7/19 2:40 PM

حينها أُعجب الضابط الإنجليزي بيتر بشجاعة سالم بن حم وتفانيه في حماية الشيخ زايد واخلاصه لإمارة أبو ظبي وحكّامِها، وحنكته في الاستلاء على الأسلحة.

مرت السنين وتقاعد الضابط الإنجليزي بيتر كلايتون من قوة ساحل عمان وبدأ في تأليف كتابه، ولم ينسَ الضابط بيتر هذه الواقعة التي رُسِمَت في ذاكرته، كإحدى صور الشجاعة والحنكة التي اتصف بها الشيخ سالم بن حم العامري، بل قام بتثبيتها وكتابتها في كتابه المُصدَر في عام 2008 كطبعة أولى بعنوان:

(تو ألفا ليما- السنوات العشر الأولى من تاريخ قوة ساحل عمان وكشافة ساحل عمان 1950-1960)

المحبة والإيثار

وقعت أحداث هذه القصة في إحدى رحلات الشيخ زايد بن سلطان للمقناص في المغرب، وكان من ضمن كوكبة المرافقين في هذه الرحلة الشيخ سالم بن حم العامري، وتعتبر المغرب إحدى الدول المحببة عند الشيخ زايد لأداء هواية القنص.

وفي إحدى أيام المقناص وكما هي العادة يبدأ اليوم مع

salem bin ham.indd 230 3/10/19 2:40 PM

أذان الفجر حيث يصطف الجميع لأداء صلاة الفجر ومن بعد أداء الفريضة يجتمع الرجال لإعداد وجبة الإفطار حيث يعمل الجميع بوتيرة واحدة ومن دون تمييز، وبعد تناول الإفطار يتم توزيع الرجال على مجموعات ولكل مجموعة مسارها ومنطقتها المعينة من قبل الشيخ زايد.

وبعد انطلاق الشيخ زايد بمجموعته نحو هدفهم وبينما هم في تجوالهم نزل الشيخ سالم بن حم مع بعض الرجال ليتفقدوا أثر الحبارى وتحرك الشيخ زايد بسيارته غير بعيد إذ أقبلوا على رجل من البدو انتهى في ساعته من توليد فرس له، فأقبل الرجل نحو الشيخ زايد مهللاً فرحاً للسلام عليه والترحيب به، فرحب به الشيخ زايد وكعادة الشيخ زايد سأله عن أخباره و علومه، فرد عليه البدوي بما سُئل ومن ثم سأل البدوي الشيخ زايد:

هل عندكم حد من العوامر

فرد الشيخ زايد مشيراً على سالم بن حم وقال:

هذا شيخ قبيلة العوامر

فأنطلق الرجل بعد استئذانه من الشيخ زايد مسرعاً نحو الشيخ سالم تملؤه الفرحة و الغبطة بتواجد شيخ قبيلة

salem bin ham.indd 231 3/7/19 2:40 PM

العوامر في منطقته ، و عندما رآه بن حم انطلق مسرعاً نحوه.

وعندما وصل الرجل عند الشيخ سالم عرّف بنفسه بأنه من قبيلة العوامر في المغرب، رحب الشيخ ابن حم بالرجل و أجلسه بجواره وأخذ يسأله عن أخباره و علومه كعادة البدو في كل مكان، وحين الإنتهاء، طلب الرجل الإذن من الشيخ سالم بالمغادرة، فطلب منه سالم بن حم مرافقته إلى عند الشيخ زايد لكي يكرمه، وهذه حقيقة..... فعند نزول الشيخ زايد على أي منطقة فإن من عادته أن يكرم أصحاب المنطقة بالهدايا والأموال.

وهنا تتجلى محبة الشيخ سالم بن حم للشيخ زايد حين آثره على نفسه في إكرام البدوي، وكان بمقدور الشيخ سالم أن يكرم البدوي ويُفْرِحَهُ ولكن أحب أن يُكَافَأ البدوي من قبل الشيخ زايد لكي ينقل الصورة المعروفة عن الشيخ زايد وكرمه لبقية جماعته ومن حوله.

salem bin ham.indd 232 3/7/19 2:41 PM

الصور : وثائق

salem bin ham.indd 233 3/10/19 2:41 PM

salem bin ham.indd 234 3/7/19 2:41 PM

الشيخ زايد وسالم بن حم رحمهما الله

salem bin ham.indd 235 3/7/19 2:41 PM

salem bin ham.indd 236 3/7/19 2:41 PM

الشيخ زايد رحمه الله وعلى يساره سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان وعلى يمينه الشيخ سالم بن حم والشيخ سلطان بن قران رحمهما الله

salem bin ham.indd 237 3/7/19 2:41 PM

salem bin ham.indd 238 3/7/19 2:41 PM

الشيخ زايد وسالم بن حم رحمهما الله في جولة عمل

salem bin ham.indd 239 3/7/19 2:41 PM

salem bin ham.indd 240 3/7/19 2:41 PM

الشيخ زايد ويظهر في يسار الصورة سالم بن حم رحمهما الله
في مسابقات التسوق الزراعي

salem bin ham.indd 241 3/7/19 2:41 PM

salem bin ham.indd 242 3/7/19 2:41 PM

الشيخ زايد رحمه الله وعلى يمينه سمو الشيخ سلطان بن زايد
وفي يسار الصورة سمو الشيخ طحنون بن محمد والشيخ سالم بن
حم رحمه الله وفي أقصى يمين الصورة الشيخ عبدالعزيز بن محمد
القاسمي رحمه الله

salem bin ham.indd 243 3/7/19 2:41 PM

salem bin ham.indd 244 3/7/19 2:41 PM

الشيخ زايد وعلى يساره الشيخ سالم بن حم رحمهما الله

salem bin ham.indd 245 3/7/19 2:41 PM

salem bin ham.indd 246 3/7/19 2:41 PM

الشيخ زايد و الشيخ سالم بن حم رحمهما الله

salem bin ham.indd 247 3/7/19 2:41 PM

salem bin ham.indd 248 3/7/19 2:41 PM

الشيخ زايد والشيخ سالم بن حم رحمهما الله ويظهر في الصورة
الشيخ مسلم بن سالم بن حم والشيخ هادف بن حميد الشامسي
رحمه الله

salem bin ham.indd 250 3/7/19 2:41 PM

الشيخ زايد والشيخ سالم بن حم رحمهما الله في جولة لمنطقة ليوا بالمنطقة الغربية-١٩٧٩م.

salem bin ham.indd 251 3/7/19 2:41 PM

salem bin ham.indd 252 3/7/19 2:41 PM

الشيخ زايد والشيخ راشد بن أحمد المعلا والشيخ سالم بن حم
رحمهم الله

salem bin ham.indd 253 3/7/19 2:41 PM

salem bin ham.indd 254 3/7/19 2:41 PM

صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان يكرم الشيخ سالم بن حم
رحمه الله بجائزة ابوظبي الانسانية في دورتها الثانية - ديسمبر 2006

salem bin ham.indd 255 3/7/19 2:41 PM

salem bin ham.indd 256 3/7/19 2:41 PM

المصادر

salem bin ham.indd 257 3/10/19 2:42 PM

المصادر

- أرشيف وكالة أنباء الإمارات.
- بن حم، سالم، رحلتي مع زايد، ط1، 1999.
- بيركس، جى، إس وسالى. آى. ليتس، العوامر: قبيلة متخصصة بحفر الآبار والأفلاج، عُمان، 1982.
- التكريتي، وليد ياسين، الأفلاج في دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة آثارية في أنظمة الري القديمة، أبوظبي 2002.
- تمام، حمدي، موسوعة زايد، الكتاب الأول، الإمارات.. الإنسان.. والوطن، ط1، 1992.
- ثيسجر، ويلفرد، الرمال العربية، ترجمة إبراهيم مرعي، ط4، 1999.
- جريدة الاتحاد، الأربعاء 25 ذي الحجة 1418هـ الموافق 23 إبريل 1998م، قصائد من الماضي، ديوان يوثق

salem bin ham.indd 258 3/10/19 2:43 PM

تغاريد وقصائد الشاعر محمد بن حم العامري.

- جريدة الاتحاد، الملحق الثقافي، الخميس 23 ربيع الآخر 1420هـ الموافق 5 أغسطس 1999م، سالم بن حم لـ«الاتحاد الثقافي»: لولا ثروة العقل عند زايد لما استطعنا أن ننعم بثروة البترول التي جاءت لاحقاً.. مقابلة صحفية بمناسبة صدور كتابه المعنون: رحلتي مع زايد.

- جريدة الاتحاد، الخميس 11 شوّال 1427هـ الموافق 2 نوفمبر 2006م، (عامان على رحيل القائد المؤسس)، سالم بن حم: القائد بدّل زمن الشدة إلى رخاء وعطاء.

- جريدة الاتحاد، الأحد 25 ذي الحجة 1427هـ الموافق 14 يناير 2007م، سالم بن حم في حوار مع الاتحاد: «مدرسة زايد نبع لا ينضب.. والنهج يتواصل بقيادة خليفة».

- جريدة الاتحاد، 25 سبتمبر 2007م، مقابلة مع الشيخ سالم بن حم: رمضان.. شهر التواصل الاجتماعي والعطاء الروحي.

salem bin ham.indd 259 3/7/19 2:42 PM

- جريدة الخليج، الملحق الخاص بالعيد السادس والثلاثين لجلوس المغفور له الشيخ زايد «طيّب اللّه ثراه»، سالم بن حم متذكراً رحلته مع زايد.

- جريدة الخليج، العدد 6821، الأربعاء 23 رمضان 1418هـ 21 يناير 1998م، مقابلة مع الشيخ سالم بن حم العامري: تعلمت في مدرسة زايد.

- جريدة الخليج، العدد 10028، الخميس 11 شوّال 1427هـ 2 نوفمبر 2006م، تاريخ إنسان وحضارة وطن، لقاء صحفي: سالم بن حم: زايد كان حاكماً استثنائياً جمع كل معاني الإنسانية.

- جريدة البيان، العدد 9633، الخميس 11 شوّال 1427هـ 2 نوفمبر 2006م، زايد.. تاريخ إنسان وحضارة وطن، الذكرى الثانية لرحيل المغفور له الشيخ زايد «طيّب اللّه ثراه»، لقاء صحفي: ذكريات سالم بن حم.

- جريدة الفجر، العدد 8796، الخميس 2 نوفمبر 2006، زايد.. تاريخ إنسان وحضارة وطن، مقابلة مع سالم بن حم: زايد قاد بنجاح أكبر وحدة عربية

salem bin ham.indd 260 3/7/19 2:42 PM

في التاريخ الحديث.

- خصباك، شاكر دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة في الجغرافية الاجتماعية، بغداد 1977.
- زبال، سليم، كنت شاهداً.. الإمارات من عام 1960 إلى 1974.. رحلة العبور من مشيخات متناثرة إلى دولة اتحادية متماسكة، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي 2001.
- السويدي، أحمد خليفة، نص كلمته في مناسبة جائزة أبوظبي الإنسانية لعام 2006.
- عبد الغني، عبد العزيز، أبوظبي توحيد الإمارة وقيام الاتحاد، ط1، مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي 2004.
- عبد الغني، عبد العزيز، قصة وثيقة .. الخريطة القبلي لإمارة أبوظبي، مجلة ليوا، مركز الوثائق والبحوث، العدد الثالث عشر، أبوظبي، يناير 2005.
- عبد الغني، عبد العزيز، روايات غربية عن رحلات في شبة الجزيرة العربية، ج 3، 1900-1952، ط1، بيروت، 2013.

salem bin ham.indd 261 3/7/19 2:42 PM

- عبد الله، راشد، زايد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد، مطابع روز اليوسف، القاهرة 1970.
- الفهيم، محمد عبد الجليل، من المحل إلى الغنى.. قصة أبوظبي، ط1، دبي 1966.
- كودراي، رونالد، وجوه من الإمارات، صور من الألبوم العربي، ديوان صاحب السمو رئيس الدولة، مركز الوثائق والدراسات، ط1، دبي 2001.
- كوردس، رايز وفريد شولز، البدو والثروة والتغيّر، دراسة في التنمية الريفية للإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان، ترجمة عبد الإله أبو عياش، الكويت 1983.
- كيلي. جي. بي، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، تعريب وتعليق: خيري حماد، بيروت 1971.
- مايترا، جوينتي وعفراء الحجي، قصر الحصن.. تاريخ حكام أبوظبي 1793-1966، مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي 2001.
- مايلز، سمويل باريت، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة

salem bin ham.indd 262 3/7/19 2:42 PM

محمد أمين عبد الله، عُمان 1982.

- مجلة العربي (الكويت) الأعداد: مايو 1961، فبراير 1962، ديسمبر 1968، ديسمبر 1974، سبتمبر 1976.

- مجلة الهلال، مجلة جمعية الهلال الأحمر لدولة الإمارات العربية المتحدة، العدد 16، السنة الرابعة، ربيع الثاني 1420هـ أغسطس 1999م، لقاء: سالم بن حم.. وذكريات مع زايد الخير.

- مجلة المرأة اليوم، مجلة تصدر عن العربية للصحافة والإعلام، مقابلة مع الشيخ سالم بن حم، نشرت في حلقات، الأعداد: 271، 272، 273، 274، 275 من شهري مايو ويونيو عام 2006.

- المجمع الثقافي، دار الكتب الوطنية، كشاف الجريدة الرسمية لإمارة أبوظبي، 1968-1988، أبوظبي 1411هـ 1991م.

- مركز الوثائق والبحوث، يوميات زايد، ج1، 1966-1976، ط1، أبوظبي 2003.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد

salem bin ham.indd 263 3/7/19 2:42 PM

البحوث والدراسات العربية، دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة مسحية، القاهرة 1978.

- موريس، كلود، صقر الصحراء.. قصة حياة الشيخ زايد، أبوظبي 1975.

- هيلير، بيتر، أيام زمان في أبوظبي، ط1، أبوظبي 2001.

salem bin ham.indd 264 3/7/19 2:42 PM

الفهرس

salem bin ham.indd 265 3/10/19 2:44 PM

salem bin ham.indd 266 3/7/19 2:42 PM

الفهرس

تقديم 7

كلمة المؤلف..... 11

الفصل الأول: لمحات عن سالم بن حم..... 15

الفصل الثاني: الشيخ زايد وذكريات بن حم..... 51

الفصل الثالث: الشيخ زايد وصفحات من الماضي..... 129

الفصل الرابع: حكايات ودلالات..... 201

المصادر..... 257

salem bin ham.indd 267 3/10/19 2:44 PM

salem bin ham.indd 268 3/7/19 2:42 PM